اجاثا كريستي
نادي الجريمة
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

أجاثا كريستي

نادي الجريمة

تعريب
عمر عبد العزيز أمين

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
١٩٨٧

نادي الجريمة

الفصل الاول

جريمة في الغابة

جلس الضيوف في القاعة الأنيقة يتسامرون بشتى الأحاديث عن كثب من مس ماربل ..

السيدة المسنة ذات الوجه السمح التي كانت تتابع أحاديثهم متفكهة ، وهي منهمكة في شغل الابرة بدقة يحسدهـــا عليها من هن أصغر منها سناً ..

كان الضيوف هم ريموند ويست ابن أخيها الصحفي الشاب ، وصديقته جويس الفنانة الحسناء المشهورة ، وسير هنري مدير البوليس السابق ، ودكتور بندار القس العجوز ، وباتريك المحامي المعروف ..

وكان الحديث يدور حول القضايا الجنـــائية الغامضة التي حيرت

البوليس .

وهل يجدي في كشف غوامضها الأسلوب البوليسي وحده أم لا بد من الاعتماد أيضاً على الأساليب الحديثة مثل علم النفس وسعة الخيال والمواهب الذاتية في التحليل والاستنتاج والخبرة بالطباع البشرية ، إلى غير ذلك من العناصر التي يستعان بها في العصر الحديث .

وفي النهاية فاجأتهم جويس باقتراحها الطريف قائلة :

– ما رأيكم ونحن نمثل مجموعة متكاملة أن نشكل ندوة لنا نسميها باسم هذه الليلة ، أي « ندوة الثلاثاء .. وإني أقترح أن تعقد هذه الندوة أسبوعياً ، على أن يتقدم كل عضو فيها بقضية غامضة يعرفها ويعرف حلها بالطبع ..

وعندما لقيت هذه الفكرة موافقتهم بالاجماع قالت جويس :

– من يكون البادىء الآن ؟

فقال الدكتور بندر القس :

– لن نجد أفضل من سير هنري الذي كان شخصية بارزة في بوليس اسكتلنديارد .

فابتسم مدير البوليس السري السابق مغلوباً على أمره .

ويدأ يقول

– هناك تلك القضية التي ربما قرأتم عنها في الصحف منذ عام مضى ، ووقائع هذه القضية غاية في البساطة ، فـأبطالها ثلاثة أشخاص جلسوا حول مائدة العشاء الذي كان مؤلفاً من جراد البحر المعلب ، وأثناء الليل أصيب ثلاثتهم بنوبة مفاجئة ، واستدعي الطبيب لاسعافهم ، فتماثل اثنان منهم للشفاء ، وتوفي الثالث .

وقد اعتبرت الوفاة نتيجة تسمم غذائي ، وحررت شهادة الوفـاة بهذا المضمون ، وتم دفن الضحية في النهاية .. ولكن الأمور لم تقف عنـد

هذا الحد ..

وهنا أومأت مس ماربل برأسها قائلة :

– كانت هناك أقاويل بالطبع ، فإن الشائعات تقترن عادة بمثل هذه القضايا ..

– صحيح . والآن سأصف لكم أبطال المأساة وسوف أسمي الزوج باسم مستر جونز ، وزوجته باسم مسز جونز ، ومرافقة الزوجة باسم مس كلارك .

وكان جونز مندوباً متجولاً لأحد مصانع الأدوية وكان رجلا وسيماً في نحو الأربعين من عمره ، وزوجته امرأة عادية تكبره بخمسة أعوام ، وكانت مرافقة الزوجة في الستين من عمرها ، ولكنها كانت امرأة قوية البنية ، بشوشة حلوة اللسان .

المهم أن تعقيدات الموقف بدأت بصورة غريبة فإن جونز أمضى الليلة السابقة للحادث في أحد فنادق مدينة برمنجهام .

وتصادف أن الخادمة المشرفة على حجرته قامت بعد سفره بتغيير النشافة الموجودة فوق مكتب صغير بالحجرة وراحت تتسلى بقراءة رسالة حررها جونز قبل سفره .. وبقيت بعض عباراتها مطبوعة في النشافة مستعينة في هذا بمرآة ..

وبعد أيام نشرت الصحف حادث وفاة مسز جونز نتيجة لتناول جراد البحر المعلب .

فنقلت الخادمة إلى زملائها الكلمات التي فكت رموزها في النشافة ، وكانت بهذا النص :

(اعتمادي الكامل على زوجتي . عندما تموت فإني سوف .. مئات وآلاف ..) .

ولعلكم تذكرون ، انه كانت هناك منذ عهد قريب قضية لزوجة

سممها زوجها ، وسرعان ما التهب خيال الخادمة حتى اعتقــدت من قراءة كلمات الرسالة ان مستر جونز دبر قتل زوجته لكي يرث مئات والوف الجنيهات ..

وتصادف في نفس الوقت إن إحدى خادمات الفندق كان لها أقارب يقيمون في البلدة الصغيرة التي تقيم فيها أسرة جونز ..

فكتبت لهم الخادمة بما عرفته من زميلتها ، وردوا عليها برسالة تبين منها ان مستر جونز كان يتودد إلى إبنة طبيب البلدة ، وهي فتاة حسناء في الثالثة والثلاثين من عمرها ..

وسرعان ما انتشرت الشائعات ، وأخذت العرائض تنهال على وزارة الداخلية ، والرسائل الغفل من الامضاء تتوارد على إدارة بوليس اسكتلنديارد وكلها تتهم مستر جونز بقتل زوجته ..

ومع إن دوائر البوليس اعتبرت هذا كله من قبيل الشائعات التي تكثر عادة في أمثال هذه الدوائر دون أن تستند إلى أساس ثابت ، إلا أنه صدر الأمر باستخراج الجثة وتشريحها ..

ومن عجب ان النتيجة اتت عكس توقعات الدوائر الرسمية ، فقــد تبين أن الوفـــاة حدثت نتيجة التسمم بمادة الزرنيخ . وكان على اسكتلنديارد والبوليس المحلي المختص إثبات كيف دس السم للزوجة ، ومن هو الفاعل ..

وطبيعي ان تتجه الشبهة إلى الزوج ، فقد استفاد من موت امرأته ، إن لم يكن بميراث المئات والآلاف التي تصورتها خادمة الفندق ، ولكن على الأقل بمبلغ قدره ثمانية آلاف جنيه

ولم تكن له موارد خاصة سوى مرتبه ، وكان ينفق باسراف ، ويميل إلى صحبة النساء ..

وكان علينا ان نتحرى عن علاقته بابنة طبيب البلدة ، ولكن ثبت لنا

أنه رغم ما كان بينهما من صداقة قوية ، فقد دب الفتور إلى هذه العلاقة فجأة ، ولم يشاهدهما أحد معاً منذ شهرين سابقين على الحادث .

وقد دهش الطبيب ذاته لنتيجة التشريح ، فـــإنه استدعي حوالي منتصف الليل ، ووجد الثلاثة في حالة سيئة ، فأرسل إلى صيدليته يطلب موافاته باقراص أفيون لتسكين الآلام التي كانوا يشعرون بها ، ورغم كل جهوده ، فإن الزوجة قضت نحبها ، ولكنه لم يشك لحظة في حدوث شيء غير عادي ..

وكان مقتنعاً بان الوفاة كانت نتيجة نوع من التسمم الغذائي ..

كان الطعام تلك الليلة مؤلفـــاً من جراد البحر المعلب مع السلطة والخبز والجبن وكعكة (التريفل) التي تصنع كما هو معروف من الفواكه والخمر والكريمة

ومن سوء الحظ أنه لم يتخلف شيء من جراد البحر ، فقد أتوا عليه عن آخره ، وتخلصوا من العلبة ..

وقد استجوب الطبيب الوصيفة الحسناء غلاديس ليتش ، فوجدها في حالة يرثى لها من الاضطراب والجزع .

ولكنها أكدت مراراً وتكراراً أن العلبة لم يكن بها أي أثر للصدأ وإن جراد البحر بدا لها في حالة جيدة تماماً .

تلك هي الحقائق التي كان علينا أن نسير في التحقيق على هداها ، وإذا كان جونز هو الذي دس الزرنيخ لزوجته غدراً وخلسة ، فقد كان من الواضح إنه لم يكن ليستطيع أن يفعل ذلك في أي لون من ألوان الطعام التي تناولوها في العشاء ، لأن الثلاثة أكلوا منه جميعاً .

ثم هناك نقطة أخرى ، وهي أن جونز عاد تلك الليلة من رحلته إلى برمنجهام في الوقت الذي كان يقدم فيه طعام العشاء ، وهكذا لم تكن أمامه فرصة للعبث بالطعام مسبقاً ..

وهنا قالت جويس لمدير بوليس اسكتلنديارد السابق :

– وماذا عن مرافقة الزوجة – المرأة القوية البنية ذات الوجه البشوش واللسان الحلو .

فأومأ سير هنري قائلا :

– اؤكد لك أننا لم نهمل مس كلارك ، لكن بدا من المشكوك فيه أن يكون لها أي دافع لارتكاب الجريمة ، فإن المتوفاة لم تترك لها أي شيء في وصيتها ، وكانت نتيجة موت مخدومتها أنها ذهبت تبحث عن عمل جديد .

فقالت متأملة :

– يبدو ان هذا يخرجها من دائره الاتهام .

فاستطرد سير هنري قائلا :

– ثم إن أحد مفتشي البوليس التابعين لي لم يلبث أن اكتشف مسألة ذات مغزى ، فإن جونز نزل بعد العشاء إلى المطبخ تلك الليلة وطلب من كلاديس لينش اعداد قدح من شراب (كورن فلاور) لامرأته التي شعرت بشيء من الانحراف ، وقد انتظر في المطبخ حتى أعدت كلاديس الشراب وحمله بنفسه إلى غرفة زوجته ، وقد بدا إن هذا وحده يكفي لتوجيه التهمة اليه .

فقال المحامي :

– ولماذا لم تقبضوا عليه ؟ فقد توفر ضده الدافع ، والفرصة ، وكونه مندوباً لشركة أدوية يجعل السموم في متناول يده

فابتسم سير هنري ابتسامة كاسفة قائلا :

– هذا هو الجانب القبيح في القضية .. إننا لم نقبض على جونز لأن مس كلارك قررت في التحقيق أنها هي التي شربت قدح (الكورن فلاور) عن آخره ، وليس مسز جونز ..

فقد ذكرت المرافقة أنها ذهبت إلى غرفة مسز جونز ، ووجدتهـــا قاعدة في الفراش ، وبجانبها قدح الشراب دون أن تمسه ، وقد طلبت منها أن تشربه بدلاً منها لأنها غيرت رأيها لشعورها بالانحراف وعدم رغبتها في تناول أي شيء آخر بعد الوجبة الدسمة ..

فشربت مس كلارك القدح رغم التزامها بالرجيم ، وهكذا ترون أن هذه النقطة بالذات قد هدمت الاتهام بالنسبة للزوج ..

وعندما سئل جونز عن العبارات التي وجدت على نشافة الفندق كان رده حاضراً .

قال : إن الرسالة التي كتبها في الفندق كانت رداً على رسالة من أخ له في استراليا طلب منه مساعدة مالية ..

فرد عليه يقول :

إنه يعتمد تماماً على امرأته ، وعندما تموت امرأته يصبح مالها من نصيبه ، وعندئذ يمكنه مساعدة أخيه إذا أمكن :

وقد أعرب له عن أسفه لعدم امكانه تقديم المساعدة المطلوبة ، ولكنه وجه نظره إلى ان الدنيا فيها مئات وآلاف من الناس يعانون من مثل ضائقته المالية .

وهكذا تهاوت القضية كلها ، فلم يكن لنا ان نخاطر بالقبض على جونز لعدم ثبوت التهمة ضده .

واختتم سير هنري قصته قائلاً :

– هذه هي القضية كما تمثلت في العام الماضي ، وحلهـــا الصحيح هو الآن بين يدي بوليس اسكتلنديارد ، وفي ظني أنكم سوف تطـــالعون هذا الحل في الصحف في خلال أيام قلائل !

فقالت الفنانة الحسناء جويس :

– ترى ما هو الحل الصحيح لهذه القضية ، ليفكر كل منـــا خمس

دقائق ، ثم يبدي لنا رأيه ..

وهنا تولى ريموند ويست تسجيل الوقت .

وعندمـــا انتهت الدقائق الخمس التفت إلى الدكتور بندار القسيل قائلاً :

– هلا قلت لنا رأيك اولاً ؟

فهز العجوز رأسه قائلاً :

– اعترف إني في حيرة تامة .. لا أستطيع إلا ان اتصور إن الزوج هو الجاني .. اما كيف فعل فعلته فهذا ما لا استطيع تصوره ، وفي رأيي انه استطاع ان يدس السم لزوجته بطريقة لم يمكن إمـــاطة اللثام عنها ، وإن كنت لا اتصور كيف يمكن الكشف عن هذا بعد طول المدة !

– وانت يا جويس :

فراحت الفنانة الحسناء تقول بيقين :

– المرافقة هي الجانية .. لا يبعد إنها رغم تقدم سنهـا كانت على علاقة غرامية مع جونز ..

ولكم ان تتصوروا شعور مرافقة مثلها ، وهي مضطرة إلى مجـاراة مخدومتها في كل شيء وملاطفتها ومصانعتهـا إلى غير ذلك من الأمور التي تقتل شخصية الانسان واستقلاله الفكري ، وتشعره في داخيلتـه بالمهانة والمضض .

ثم جاء أخيراً يوم لم تعد فيـه تطيق الصبر ، فقتلت الزوجـة .. والمرجح إنها هي التي دست الزرنيخ في قدح الشراب ، ثم اختلقت تلك القصة التي قالتها عن تناولها هي نفسها القدح ، خصوصاً وهي تراعي الرجيم في طعامها .

وأنت يا مستر باتريك :

فراح المحامي يقول :

– لا يمكنني أن أجادل الحقائق المادية الثابتة .. ولكن رأيي الخاص هو أن الزوج هو الجاني .. والتفسير الوحيد الذي يمكن استخلاصه من ثنايا الوقائع المادية هو أن مس كلارك المرافقة أخذت عمداً دور المدافع عنه المتستر عليه ..

ولا يبعد أنه عقد بينهما اتفاق مالي يعطيها بموجبه بصفة خصوصية بينهما اتفاق مالي يعطيها بموجبه بصفة خصوصية بينهما مبلغاً جسيماً إذ هي وافقت على التقدم في التحقيق بقصة شربها القدح (الكورن فلاور) ، وبهذا تدفع عن نفسها شبح الفاقة والتشرد ..

وعندئذ قال ريموند ويست بدوره :

– إني أخالفكم جميعاً . لقد نسيتم العنصر الهام في القضية ، وأعني به ابنة الطبيب ، واليكم تفسيري للقضية

كانت علبة جراد البحر فاسدة ، وهي تفسر ظهور أعراض التسمم ، وقد استدعي الطبيب ، فوجد مسز جونز ، التي أكلت من جراد البحر كمية أكبر من غيرها ، في حالة ألم شديد ، فبعث في طلب بعض أقراص الأفيون كما قلتم لنا ..

وأقول أنه بعث يطلب الأقراص ، ولم يذهب بنفسه .. ومن الذي يعطي الرسول الأقراص ، ابنة الطبيب بالطبع وأغلب الظن أنها تتولى بنفسها تحضير مثل هذه العقاقير لأبيها ، وهي على علاقة غرامية بجونز ، ومن المؤكد إن كل غرائزها الشيطـــانية تتحرك في هذه اللحظة ، وتوقن أن الوسيلة المتـــاحة لتحريره من قيود الزوجية قد سنحت بين يديها ..

وهكذا ترسل الأقراص المطلوبة وبهـــا زرنيخ مركز ، وهـــذا هو تحليلي للقضية ..

فقالت جويس باهتمام :

– والآن يا سير هنري .. قل لنا الحل الحقيقي للغز ..

فقال سير هنري :

– مهلاً يا سادة ، إن مس ماربل لم تتكلم حتى الآن ..

فهزت مس ماربل رأسها في اكتئاب ..

ثم قالت :

– الحقيقـــة إني انشغلت بهذه القضية إلى حد أنساني عدد غرز الابرة للأسف .. إنها قضية محزنة فعلاً ..

إنها تذكرني بمستر هارغريف العجوز الذي كان يقيم في مونت .. ان امرأته ظلت لا يخامرها أي شك في أمره ، إلى أن توفي ، تاركاً كل ثروته لامرأة كان يعيش معها ، وقد أنجب منهـــا خمسة أبناء .. كانت هذه المرأة في وقت ما وصيفة عند الأسرة .

وكانت مسز هارغريف تثني عليهـــا ، وتقول أنها أكفأ وصيفة عرفتها .. وذلك طول الوقت الذي كان فيه هارغريف يعايش الوصيفة في بيت خاص استأجره لها في البلدة المجاورة ، مع مواظبته على خدمة المصلين في الكنيسة كل أحد دون كلل أو انقطاع ..

إن قضيتكم الحالية تذكرني بقصة هارغريف كما قلت ، والعناصر في القضيتين متماثلة تماماً ..

وأظن يا سير هنري إن الفتاة المسكينة قد اعترفت ، ولذلك فأنت تعرف حل اللغز ..

فقال ريموند بدهشة :

– أية فتاة تعنين يا عمتي .

– الفتاة المسكينة ، جلاديس لينش بالطبع . الوصيفة التي بـدا عليها أشد الاضطراب والجزع عندما استجوبها الطبيب ..

وكان من الطبيعي أن تضطرب وتجزع ، أرجو أن ينال جونز الشرير جزاءه شنقاً ، إذ جعل من تلك الفتاة المسكينة قاتلة ، بعد أن غرر بها واتخذها عشيقة له ، وأظنهم سوف يشنقونها هي الأخرى ..

وعندما حاول المحامي أن يبين لمس ماربل خطأ استنتاجاتها ، هزت رأسها باصرار ونظرت إلى سير هنري قائلة :

— الست على حق .. إن عناصر القضية واضحة أمامي .. (المئات والآلاف) .. وكعكة (التريفل) .. هذه أشياء لا يمكن أن يخطئها الانسان ..

فلم يتمالك ريموند أن هتف قائلاً لعمته :

— وما حكاية كعكة (التريفل) . والمئات والآلاف .

فالتفتت اليه مس ماربل قائلة :

— إن الطهاة يزخرفون كعكة (التريفل) بمئات وآلاف من القطع السكرية الصغيرة القرمزية والبيضاء ، وعندما سمعت إنهم تناولوا بين ما تناولوا في طعام العشاء كعكة (التريفل) .

وإن الزوج حرر لأحدهم رسالة عن (المئـــات والآلاف) كان من الطبيعي أن أربط بين الاثنين ..

فهنا كان موضع الزرنيخ .. في مئات وآلاف من القطع السكرية الصغيرة .. انه ترك المادة مع الفتاة وطلب منها أن تضعهـــا مع الكعكة ..

فردت مس ماربل قائلة :

— لكن هذا مستحيل ، إنهم أكلوا جميعاً من الكعكة :

فردت مس ماربل قائلة :

— آه كلا .. إن المرافقة كانت تراعي (الرجيم) كما تذكرون ، ولا يمكن ان يأكل انسان كعكة دسمة مثـــل هذه إذا كان يلتزم

(الرجيم) ..

وأعتقد ان جونز أزال مئات وآلاف القطع السكرية الصغيرة من قطعة التريفل التي كانت من نصيبه وتركها بجانب الطبق ، إنهـا فكرة حاذقة ، ولكنها شريرة بالطبع !

وهنا تركزت جميع الأنظار على سير هنري .. الذي راح يقول بتؤدة :

– إن مس ماربل أصابت كبد الحقيقة في الواقع ان جونز غرر بالوصيفة كلاديس لينش ووضعها في موقف لا تحسد عليه . كانت الفتاة في حالة يأس ، وقد إراد جونز ان يزيح امرأته من الطريق ، ووعد كلاديس بالزواج منها بعد وفاة امرأته .

وهكذا دس الزرنيخ في مئات وآلاف القطع السكرية الصغيرة واعطاها للفتاة مبيناً لها كيف تستخدمها ، إن لينش توفيت منذ اسبوع وقد توفي وليدها اثناء الوضع ، بعد ان كان جونز قد هجرها إلى امرأة اخرى .. وعندما كانت لينش على فراش الموت اعترفت بالحقيقة كاملة !

خيم صمت قصير الأمد ، ولم يلبث ريموند ان قطعه قائلاً :

– هذه قضية اخرى تسجل عبقريتك يا عمتي ، وإن كنت لا ادري كيف توصلت إلى الحقيقة ، فلم اكن اتصور ابداً ان يكون للوصيفة اي ضلع في القضية .

فقالت مس ماربل باسمة في تواضع :

– ذلك لأنك يا عزيزي لم تختبر الحياة كما اتيح لي ان اختبرها ، ان شخصاً من طينة جونز مفطور على فساد الطبع وانحلال الخلق وانعدام الضمير ، وعندما علمت انه كانت في البيت فتاة حسناء ايقنت في الحال انه لن يدعها وشأنها ، هذا شيء اليم ومحزن إلى ابعد الحدود ، ولا ينبغي ان يخوض الانسان فيه كثيراً ، فلنطو هذه الصفحة الأليمة !

الفصل الثاني

سحر عشتروت

قالت الفنانة جويس لامبريير .

– والآن يا دكتور بندار ، ما هي القضية التي ستعرضها علينا لكي نحل غوامضها !

فابتسم القس العجوز برقة .

ثم قال :

– إن حياتي كان طابعها الهدوء ، إلا مرة واحدة مررت فيها وأنا شاب بتجربة غريبة مأساوية !

إن مسرح قصتي في اقليم دارتمور في منزل خلوي يمتلكه صديقي سير ريتشارد هايدن أطلق عليه اسم (الغابة الصامتة) ، وقد دعاني مع أصدقاء آخرين لتمضية أيام ضيوفاً عليه ..

وكان أبرز الضيوف ديانا أشلي فتاة المجتمع التي امتازت بجمالها الفاتن ونبراتها الموسيقية !

وقد لمست من أول يوم أن سير هايدن مفتوناً بها ، وإن كنت لم أستطع أن أحدد شعورها نحوه ، إذ كانت تختصه يوماً بكل اهتمامها .

ثم تتجاهله يومـــاً آخر ، وتؤثر بهذا الاهتمام ، ابن عمه الشاب اليوت هـــايدن .. وهكذا ، حتى يحار الانسان في تكييف حقيقة شعورهـا ..

وفي اليوم التالي لوصولنا دعانا المضيف لمشاهدة المنطقة الطبيعية التي قام فيها المنزل الحلوي ، وكانت من المناطق المقفرة التي تكثر فيهـا الحفريات الأثرية .. وقد اكتشفت بهـــا أدوات برونزية من العصر الحـجري ..

فبعد أن حدثنا السير هايدن عن تلك الاكتشافات بحماسة الهاوي الخبير ، مبيناً أنه قد تعاقب عليها أبناء العصر الحجري ، والفينيقيون ، والرومان ، أشار إلى البقعة الصخرية الجرداء تجاورها غابة صغـيرة قائـلاً :

– هـذه هي الغـابة المعروفة باسم (الغابة الصامتة) ، والتي استمد منها المنزل اسمه .. وهي من بقايا عهود ما قبل التـاريخ ، وربما يرجع تاريخها إلى عهد استيطـان الفينيقيين لهذه البلاد ، تعـالوا أفرجكم عليها !

فتبعناه جميعاً ..

وكان السكون المطبق يخيم على الغابة الصغيرة حتى شعرت بالانقباض والوحشة !

وقال هايدن باسماً :

– هذه غابة عشتروت ، وفي قلبها كانت تقام طقوس مقدسة ؟

وهنا همهمت ديانا آشلي ، وقد بدت في عينيهـــا نظرات بعيدة حـالمة :

– طقوس مقدسة ، ترى ماذا كانت هذه الطقوس ؟

فرد هايدن قائلاً :

– في قلب الغابة ، معبد أطلق عليه اسم معبد عشتاروت ، تعالوا معي !

في هذه اللحظة وصلنا إلى دائرة مكشوفة بين الأشجار – في وسطها كشك حجري تقدمنا هايدن إلى داخله ..

فوقع نظرنا على تمثال لامرأة جالسة على أسد ، وقد حف برأسها قرنان مقوسان !

وقال هايدن يعرفنا بها :

– هذه هي عشتاروت ، ربة القمر عند الفينيقيين .

فهتفت ديانا قائلة :

– ربة القمر .. يا للمناسبة البديعة ، لنقم هذه الليلة حفلة تنكرية هنا في ضوء القمر ، ونحتفل باحياء طقوس الآلهة عشتاروت ..

وأصارحكم انني توجست شراً من هذا المكان الغريب ، وشاركني بعض الضيوف هذا الاحساس ..

ولم يطل بنا الوقوف والتأمل !

وعدنا إلى المنزل على الأثر ..

ورغم ذلك ، فإن اقتراح ديانا آشلي باقامة حفلة تنكرية ليلية قد تغلب في النهاية !

وعندما اجتمع شملنا حول مائدة العشاء ، وقد تنكر كلا منا بما راق له ..

ساد المرح أرجاء المنزل ، وتجاوبت الضحكات والدعابات في كل مكان ..

وخرجنا بعد العشاء من المنزل .. وكانت ليلة حارة صافية ، وبدأ القمر يبزغ في الأفق ..

وأمضينا ساعة كاملة ، نتجول هنا وهناك ، ونتسامر باحلى

الأحاديث ، إلى أن استرعى نظرنا في النهاية أن ديانا آشلي الفاتنة ليست معنا !

فقال ريتشارد هايدن :

– من المؤكد إنها لم تذهب للنوم ..

فقالت فيوليت مارينج إحدى الضيفات مشيرة إلى ناحية الغابة ·

– اني رأيتها تتجه إلى هناك منذ ثلث ساعة ..

فقال ريتشارد هايدن :

– ترى ماذا تدبر لنا هذه الشيطانة الفاتنة ، لنذهب وننظر !

فاتجهنا جميعاً الى ناحية الغابة التي بدت سوداء ..

واقول الحق انني شعرت بانقباض ، وحدثتني النفس بقرب وقوع مكروه ..

واحسب ان بعض الضيوف كانوا يشاطرونني هذا الاحساس ، لكننا لم نكن نستطيع التراجع .

وهكذا كتمنا مشاعرنا ، وأخذنا نسير معاً متلاصقين صامتين أو هامسين ..

وما كدنا نخرج من نطاق الغابة الى الدائرة المكشوفة بين أشجارها حتى وقفنا مسمرين في مكاننا ، وقد تملكنا أشد الهول ..

فقد وقعت أنظارنا عند مدخل معبد عشتاروت على هيكل انسانة ملتفة بغلالة سوداء وقد برز من شعرها الغزير قرنان مقوسان ، فلم تتمالك فيوليت أن هتفت :

– يا الهي .. هذه ديانا ، ماذا فعلت بنفسها ، انها تبدو مختلفة عما نعرف .

ولم يلبث الهيكل القائم في مدخل المعبد أن رفع يديه .

ثم تقدم خطوة الى الأمام ، واخذ يترنم بصوت عال حلو النبرات :

– أنا كاهنة عشتروت ، احذروا وأنتم تقتربون مني ، فـإنني أحمل الموت في يدي !

وعندئذ وثب هايدن نحوها قائلاً :

– أيتها الربة ديانا ، أنت رائعة !

ولكنها هتفت محذرة :

– احترس .. لا تقترب من الالهة .. إذا وضع أحدكم يده علي ، فهنا الموت ؟

فهتف بها هايدن قائلاً :

– أنت رائعـــة يا ديانا .. لكن كفى الآن .. إني لا أرتاح إلى هذا ..

وتقدم نحوها فوق الحشائش ماداً يده ..

فصاحت به :

– قف خطوة واحدة فأرميك بسحر عشتروت ..

فضحك ريتشارد هايدن وزاد اقترابا منها .

وعندئذ حدث فجأة شيء غريب !

فقد وقف متردداً برهة ، وما لبث أن رأيناه يتعثر ، ثم يقع ممدداً على الأرض !

ولم ينهض من رقدته ، ولكنه ظل منبطحاً على الأرض مكانه ..

وفجأة أخذت ديانا تضحك بصورة هستيرية ، وكان صوتهـا غريبـاً مروعاً تردد صداه في سكون الغابة الصغيرة .

وفي هذه اللحظة وثب اليوت هايدن إلى الأمام ..

ثم هتف قائلاً :

– أنا لا أحتمل هذا ، قم يا رجل ؟

ولكن ريتشارد هايدن بقي في رقدته ..

فدنا منه ابن عمه اليوت ، وركع بجانبه ، وقلبه برفق على ظهره وانحنى فوقه ينظرُ في وجهه

وما لبث أن نهض قائماً بحركة فجائية ، ووقف يترنح قليلاً ، قائلاً لأحد المدعوين :

– دكتور سيموند ، تعال بالله ، أظن انه مات ..

فاندفع الدكتور سيموند إلى الأمام ..

بينما عاد الينا اليوت متهالك الخطى ، وهو ينظر إلى يديه بطريقة لم أفهمها ..

وفجأة انبعثت صرخة مدوية من ديانا قائلة :

– إني قتلته ، رباه .. لم أقصد هذا ، ولكني قتلته ؟

وهوت مغمى عليها ..

وتكومت فوق الحشائش !

فصرخت إحدى المدعوات مولولة :

– أبعدونا عن هذا المكان الفظيع ، أبعدونا قبل أن تحدث مصائب أخرى ..

واقترب اليوت مني وشد على ذراعي قائلاً :

– لا يمكن أن يحدث هذا ، لا يمكن ان يقتل انسان على هذه الصورة ، هذا شيء ضد الطبيعة ؟

فقلت له اهدىء من روعه :

– لا بد من وجود تفسير لما حدث ، لا ريب إن ابن عمك كان مريضاً بالقلب دون أن يعرف أحد ، فجاءت الصدمة والانفعال لكي ؟

ولكنه قاطعني قائلاً :

– إنك لا تعرف ..

ورفع إلي يديه ، فرأيت فيهما بقعاً حمراء ..

وابتدرني قائلاً :

– ان ريتشارد لم يمت بصدمة ، إنه مات مطعوناً ، مات بطعنة في قلبه ، ولا يوجد سلاح ؟

فجعلت أحدق فيه وأنا لا أصدق .

وفي هذه اللحظة نهض الدكتور سيموند بعد فحص الجثة ، وتقدم نحونا وهو ممتقع الوجه يرتجف من رأسه إلى قدميه ، فقال :

– هل اختبلنا جميعاً ، ما هذا المكان .. كيف تحدث مثل هذه الحوادث ؟

فقلت له :

– إذن فما حدث حقيقي !

فأومأ الطبيب برأسه فقال :

– يبدو أن الجرح حدث من خنجر طويل مدبب .. لكن لا يوجد أي خنجر ؟

فهتف اليوت :

– لكن لا بد من وجوده . لا ريب إنه سقط بعيداً ، لنبحث عن الخنجر !

فأخذنا نحدق فيا حولنا نجهد في ضوء القمر الحسير .

وفجأة قالت فيوليت :

– لقد كان في ديانا شيء ، شيء يشبه الخنجر ، انني رأيته يلمع في يدها وهي تهدده .

وركعت أمام الفتاة المغمى عليها .

ثم قلت :

– لا يوجد الآن شيء في يدها ؟

وتقدم الدكتور سيموند من ديانا فقال :

– لا بد من نقلها إلى المنزل ، ساعدوني !

وتعاونا في نقل الفتاة المغمى عليها إلى المنزل .

ثم عدنا بعد ذلك إلى الغابة المشؤومة ، ونقلنا جثة سير ريتشارد هايدن ..

وأرسلنا نستدعي البوليس ، وفي أثناء ذلك انتحى بي اليوت جانباً فقال لي :

- انني سأعود إلى الغابة ، لا بد من العثور على ذلك الخنجر .

فقلت له مرتاباً :

– إذا لقيت خنجر فعلا .

فشد على ذراعي بعنف قائلا :

– أنت مثلهم تؤمن بالخرافات ، تظن أن الوفاة نتيجة شيء خارق مما وراء الطبيعة ، أما أنا فإنني عائد إلى الغابة للبحث ..

كنت ضد رأيه ..

وحاولت جاهداً أن أثنيه عن عزمه !

ولكن بلا جدوى ..

* * *

كانت ليلة مروعة لم يذق فيها احد من الضيوف طعم النوم

وحين اقبل رجال البوليس لم يصدقوا شيئاً مما قيل ، وحاولوا استجواب ديانا آشلي !

ولكن الطبيب مانع بشدة قائلا :

– إنه أعطاها جرعة منومة بعد أن أفاقها من الغيبوبة ، وانه لا بد

من تركها نائمة حتى الصباح .

ولم يفكر احد في اليوت هايدن ، حتى كانت الساعة السابعة من صباح اليوم التالي ..

وعندئذ سأل الدكتور سيموند عنه فجأة .

ولما اخبرته بما كان من اليوت في الليلة الماضية زاد وجهه امتقاعاً ، فقال لي :

– يا ليته لم يفعل ، هذا تهور !

– هل تظن انه أصيب بمكروه ؟

– أرجو ألا يكون ذلك ، ومن رأيي أن نذهب سوياً للبحث .

كنت أراه محقاً في هذا الطلب ، ولكنني استجمعت أقصى شجاعتي للقيام بهذه المهمة !

فذهبنا إلى الغابة المشؤومة ونحن نناديه في الطريق .

وحين وصلنا إلى الدائرة المكشوفة بين الأشجار أمسك الدكتور سيموند بذراعي فجأة !

فقد وقع نظرنا على اليوت هايدن ممداً على الأرض في نفس البقعة التي تمدد فيها ابن عمه في الليلة الماضية .

فهتف الطبيب :

– رباه .. انه أصيب هو أيضاً ؟

وأسرعنا إلى مكانه فوق الحشائش ، فلقينا اليوت فاقد الوعي ، ولكنه يتنفس ضعيفاً .

ولم يكن هناك شك هذه المرة فيما سبب الفاجعة !

فقد بقيت في الجرح اداة قاطعة طويلة رفيعة من البرونز .

وقال الطبيب :

– إنه أصيب في الكتف ، وليس في القلب ، فهذا من حسن الحظ ،

لا أدري والله كيف أفكر ، على أي حال فهو لم يمت وسوف يكون في مقدوره أن يخبرنا بما جرى ..

لكن هذا ما لم يكن في استطاعت اليوت أن يفعله ، كان كلامه مشوشاً إلى أبعد حد .

فقد قال أنه راح يفتش عن الخنجر عبثاً ، وبعد أن نفض يديه من البحث وقف قليلاً قرب الهيكل ..

وعند ذلك أيقن أن هناك من يراقبه بين الأشجار ، ثم شعر بريح قوية تهب من داخل الهيكل ..

فاستدار لينظر إلى الداخل ..

فوقع نظره على تمثال الربة عشتروت يتطاول ويزداد طولاً ، وانه عزا ذلك إلى خداع البصر .

وفجأة .. شعر بشبه ضربة فيما بين صدغيه أرسلته مترنحاً على ظهره ..

وشعر وهو يسقط بألم حاد ملتهب في كتفه اليسرى

وقد تبين أن الخنجر مطابق للخنجر الذي اكتشف في المنطقة الأثرية واشتراه ريتشارد هايدن .

أما أين كان يحتفظ به ، في المنزل أو في هيكل عشتروت ، فهذا ما لم يعرفه أحد .

وكان من رأي البوليس أن ديانا آشلي هي التي طعنت سير ريتشارد هايدن عمداً ..

ولكن ازاء شهادتنا الجماعية بأنه كانت تفصل بينهما مسافة ثلاثة ياردات ، فإن البوليس عجز عن توجيه التهمة اليها رسمياً ، وهكذا بقي الحادث لغزاً !

خيم صمت طويل حين فرغ القس من قصته ، وأخيراً سألته جويس

لامبريير :

ــ هــذا شيء فظيع مروع .. اليس لديك تفسير له يا دكتــور بنــدار ..

فأومأ الرجل المجوز قائلاً :

ــ نعم .. عندي تفسير من نوع ما ، وهو تفسير غريب في الواقع ، وإن كان بعض النقاط يلابسها الغموض ..

فقالت جويس :

ــ في رأيي أنه يمكن تفسير ما حصل من خلال التنويم المغناطيسي ، إن ديانا آشلي أحالت نفسها إلى كاهنة للآلهة عشتروت ، وأظنها طعنت ريتشارد هايدن بطريقة ما .. ولعلهــا قذفتــه بالخنجر الذي رأتــه فيوليت في يدها ..

فقال ريموند ويست ايضاً :

ــ أو ربما قذفته بحربة ، خصوصاً وضوء القمر لم يكن قوياً ، وهنا دخل دور التنويم المغناطيسي الجماعي .. فقد كنتم كلكم على استعــداد لتصديق أنه صرع بواسطة قوة خفية ممــا وراء الطبيعــة ، ونظرتم إلى الحادث بهذه العين ..

فقال سير كيترينج مدير بوليس اسكتلنديارد السابق :

ــ في رأيي أنه من الممكن أن يختبيء شخص بين الأشجار ويقذف بخنجر أو حربة بدقة كافية ، شرط ان يكون مــدربا .. ولعلــكم تذكرون أن المصاب الثاني قرر أنه شعر كأن شخصاً بين الأشجار راقبه ، أما شهادة مس فيوليت بأنها رأت ديانا آشلي ممسكة بخنجر ، فإنكم جميعاً نفيتم هذا .

أما المحامي باتريك فقد تنحنح قائلاً :

ــ لكن بين هذه الآراء والافتراضات ، يظهر إننــا ننسى حقيقــة

جوهرية . ماذا جرى لسلاح القتل .. إن مس ديانا آشلي كان يستحيل عليها إخفاؤه ، وهي واقفة في مكان مكشوف ..

وإذا كان القاتل يختبىء هو الذي قذف بالخنجر ، إذن لظل الخنجر في الجرح وأمكن العثور عليه ، إذن فلا بد من نبذ التصورات النظرية والاعتماد على الحقائق المادية !

فسأل السير هنري :

– وإلى أين توصلنا هذه الحقائق المادية .

فقال المحامي :

– هناك شيء واضح لا خلاف عليه ، فإنه لم يكن هناك أحد قرب ريتشارد هايدن حين خر صريعاً ، وإذن فالشخص الوحيد الذي يمكن أن يطعنه هو (نفسه) ، أعني الانتحار في الواقع ..

فقال ريموند ويست متشككاً :

– لكن ما الذي يدعوه بالله إلى الانتحار ؟

فسعل المحامي ..

ثم أجاب قائلاً :

– هذا سؤال نظري مرة أخرى ، إنني في هذه المرحلة لا أعول على النظريات . واستبعاداً لمسألة القوى الخفية الخارقة ومسائل ما وراء الطبيعة ، وهو ما لا أسلم به ، فإن هذا هو تصويري المادي لما حدث .. أنه طعن نفسه ، وفي سقطته انبسطت ذراعاه ، مما أدى إلى انتزاع الخنجر من الجرح وانقذافه بعيداً بين نطاق الأشجار ..

وهنا تكلمت مس ماربل ، فقالت :

– الحقيقة أنه لا يمكن الجزم بشيء بصورة قاطعة ، إن الوقائع محيرة في الواقع ، لكن هنالك غرائب تقع فعلاً ، طبعاً لا شك أن هناك طريقة

واحدة تلقي بها سير ريتشارد المسكين تلك الطعنة .

لكنني أود ان أعرف قبل كل شيء ما الذي جعله يتعثر ويسقط ، طبعاً لا يبعد أنه تعثر في جذع شجرة ناتىء فوقع على الأرض ، فقد كان يتطلع إلى ديانا آشلي ، وفي ضوء القمر يمكن أن يتعثر الانسان في أي جسم ناتىء .

فقال لها القس وهو يتطلع اليها بنظرة غريبة

– قلت أن هنـاك طريقة واحدة تلقى بها ريتشارد هـايدن تلك الطعنة القاتلة .

فراحت مس ماربل تقول :

– إنها قصة محزنة ، ولا أحب ان أفكر فيها وارجو الا يكون ذلك الشاب التعس اليوت أفاد من جريمته الشريرة ؟

فلم يتمالك ريموند أن هتف قائلاً :

– اليوت ، فهل تظنين أنه هو الذي ارتكب الجريمة !

فردت مس ماربل قائلة :

– لست أدري كيف يمكن ان يرتكبهـــا شخص غيره ، اعني إذا أخذنا برأي الأستاذ المحامي .

واستندنا إلى الحقائق المادية ، مستبعدين جو الآلهة القديمة وغير ذلك من الترهات !

إن اليوت هو الذي تقدم إلى ريتشارد قبل غيره ، وقلبه على ظهره ولما كان متنكراً في زي قطاع الطرق أثناء الحفلة ، فلا ريب أن يكون في حزامه سلاح من نوع ما !

واذكر إني رقصت في شبابي أثناء حفلة تنكرية مع رجل تنكر في زي قطاع الطرق ، فكان يحمل خمس مدى وخناجر مختلفة .

ولا أستطيع أن أصف لكم مـــا يحس به شريكه في الرقص من

ارتباك واضطراب .

وعندئذ اتجهت أنظارهم جميعاً إلى الدكتور بندار .

فبدأ الرجل العجوز يقول :

– إنني عرفت الحقيقة بعد خمس سنوات من وقوع تلك المأساة وقد جاءتني في شكل رسالة تلقيتها من اليوت هايدن .

قال في الرسالة :

انه تصور انني كنت أرتاب فيه طول الوقت ، وقد اعترف بأن ما حدث كان نتيجة إغراء فجائي تملكه .

فإنه أحب ديانا آشلي قبل ان عمه ريتشارد هايدن ، ولكنه كان فقيراً ..

وبإزاحة ريتشارد من الطريق ، وحصوله على الميراث عن ابن عمه فقد كانت أمامه فرصة لا مثيل لها لتحقيق حلمه .

وعندما سقط ابن عمه ريتشارد على الأرض متعثراً ، وانحنى هو فوقه شعر بالخنجر يصلصل في حزامه .

وقبل أن يفكر فيما هو فاعله أغمد الخنجر في قلبه ، وأعاده حزامه ثانية ..

ثم طعن نفسه في المرة الثانية ، لكي يبعد الشبهة عنه ..

وقال انه كتب هذه الرسالة ليلة ارتحاله في بعثة إلى القطب الجنوبي احتمالاً لئلا يقدر له يعود ..

ولا أظن أنه كان ينوي هذه العودة ، وأعتقد ، كما قالت مس مارل أنه لم يفد شيئاً من جريمته ..

فقد اختتم الرسالة قائلاً :

انه ظل خمس سنوات وهو يعيش في جحيم من وخز الضمير وأنه يرجو أن يكفر عن جريمته بميتة بطولية ..

وخيم الصمت مرة أخرى ..

وأخيراً قال سير هنري :

– وكان نصيبه هذه الميتة فعلا ، إنك غيرت الأسمـاء في قصتك يا دكتور بندار ، ولكن أظن إني أعرف الشخص الذي تقصده !

فاستطرد القس فقال :

– ومع ذلك فما زلت أشعر أنه كان هناك تأثير شرير يبسط ظلاله على تلك الغابة المشؤومة ، تأثير كان هو المحرك للشاب اليوت هايدن للاقدام على جريمته ، وما زلت حتى اليوم لا أستعيد ذكرى فاجعة معبد عشتروت دون أن أشعر بقشعريرة تسري في بدني .

الفصل الثالث

شحنة الذهب

قال ريموند لأعضاء (ندوة الثلاثاء الليلية) :

– سأقص عليكم بدوري وقائع قضية غريبة حدثت منذ عامين ، عندما ذهبت إلى مقاطعة (كورنوال) لتمضية أسبوع (عيد الفصح) عند شخص يدعى جون نيومان ، في قرية بولبيران التي تقع على الشاطىء الغربي ، وهي منطقة صخرية موحشة .

وكنت قد تعرفت به منذ أسابيع قلائل ، ووجدته شخصية طريفة ذات ميول رومانتيكية ، وكان حجة في التاريخ المعاصر للملكة اليزابيث .

وعندما سمعته يحدثني بافاضة وحماسة عن إبادة أسطول الأرمادا الاسباني في ذلك العهد ، خيل الي أنه كان من شهود هذه المعركة الشهيرة !

وهنا قالت مس ماربل وهي تنظر إلى ابن أخيها ببرودة :

– أراك بدأت تتأثر بالجو الرومانتيكي يا بني ؟

فقال ريموند بامتعاض :

ـ هذا آخر شيء في طبعي ، ولكن كلام نيومان هذا الهب خيالي ، فقد حدث أن سفينة معينة من سفن أسطول الأرمادا محملة بشحنة كبيرة من الذهب الخاص باسبانيـــا تحطمت على شاطىء كونوال عنـــد صخور (سربنت روكس) الغادرة ..

وقد حدثني نيومان أنه منذ سنوات عديدة بذلت محاولات لانتشال الذهب الغارق ، فأنشئت شركة للقيام بهذا العمل ، ولكنها افلست .

واستطاع نيومان أن يشتري حقوق القيام بهذه العملية ، وكان من رأيه إن الاستعانة بالأساليب العلمية ، والآلات الحديثة ، كفيلـة بتحقيق ذلك الغرض .

الحقيقة أن حماسة نيومان سرت إلى نفسي ، وضاعف من حماسي لمشاهدة هذه العملية عن كثب ، إني كنت وقتئذ منهمكاً في كتابة رواية جديدة تقع بعض أحداثها في القرن السادس عشر ، ورأيت الفرصة سانحة للحصول على المادة اللازمة في هذا المكان التاريخي .

وهكذا سافرت من لندن بالقطار في صباح يوم جمعة وأنا ممتلىء حماسة وشوقاً ..

وكانت المركبة خالية إلا من شخص جلس في الركن المواجه لي يلوح عليه الطابع العسكري ، وخيل إلي إني رأيته من قبل .

وبعد أن شحذت ذاكرتي فترة تذكرت أنه مفتش البوليس السري بادجوبرث ، وكنت قد التقيت به أثناء كتابتي لسلسلة من المقالات في قضية اختفاء شغلت الاذهان في حينها .

ولم أتوان في تقديم نفسي إلى مفتش البوليس السري .

وبعد برهة كنا نتحادث كأصدقاء ، وعندما أخبرته بأنني ذاهب إلى قرية بولبيران ، قال :

ـ إنهـا ولا شك مصادفـة غريبة لأنه هو أيضاً ذاهب إلى نفس

القرية .. ولكني لم أشأ أن أتطفل عليه بالأسئلة عن مهمته ، وحدثته بدلاً من ذلك عن سبب اهتمامي بهذه البقعة ، مشيراً إلى سفينة الذهب الاسبانية الغارقة ..

فوجدته لدهشتي يعرف كل شيء عنها ، حتى انه قال :

– إنها السفينة جوان فرنانديز . إن صديقك لن يكون آخر شخص يغرق أمواله في البحر لانتشال المال منه !

فقلت للمفتش :

– ألا ترى أن الخيال لعب دوراً كبيراً في هذه القصة ؟

– لكن السفينة غرقت هناك ، لا شك في ذلك ، مع سفن أخرى غيرها ، ولعلك تدهش حين تعرف أن سفناً كثيرة تحطمت وغرقت على هذا الشاطىء الصخري .. والحقيقة إن هذا الموضوع هو سبب ذهابي الآن إلى هناك ، حيث تحطمت السفينة أورانتو وغرقت منذ ستة أشهر فقط ؟

فقلت للمفتش :

– أذكر انني قرأت هذا الحادث ، ولكنه لم يقترن بغرق أحد !

فرد المفتش

– صحيح .. ولكن غرق شيء آخر .. فهناك مسألة لم يعرفها الكثيرون ، وهي أن السفينة أورانتو كانت تحمل شحنة من الذهب !

فقلت وقد ثار اهتمامي :

– أحقاً ..

– نعم ، وطبيعي اننا كلفنا غواصين بالعمل لانتشال الذهب ، ولكننا وجدناه قد اختفى !

فحدقت في المفتش قائلاً :

- اختفى ، وكيف يمكن أن يختفي !

- هذه هي المعضلة .. إن الصخور أحدثت ثغرة في عنبر السفينة ، وكان من السهل أن ينفذ منها الغواصون إلى داخل العنبر .. ولكنهم وجدوه خاوياً ، والسؤال هو : هل سرق الذهب قبل غرق السفينة ، أو بعد غرقها ؟ او هل كان الذهب في السفينة فعلاً ؟

فقلت :

- هذه قصة غريبة !

- هي قضية غريبة كما تقول .. إن شحنة الذهب ليست كعقد ماس يمكن وضعه في الجيب .. هي شيء ضخم كبير الحجم يستحيل اختفاؤه هكذا ببساطة .. ولا يبعد أنه حدث عبث وتلاعب قبل ابحار السفينة ، وإذا لم يكن هذا ، فلا بد ان شحنة الذهب قد انتشلت في غضون الشهور الستة الماضيه ، وانا ذاهب إلى هناك للبحث والتحري !

* * *

ومهما يكن فإنني وجدت نيومان في انتظاري في المحطة ، وقد اعتذر لي عن عدم وجود سيارته التي تعطلت وأرسلها للاصلاح ، وجاء في سيارة نقل تابعة لمزرعته !

وهكذا صعدت إلى جانبه وسار بنا اللوري بطيئاً في شوارع قرية الصيادين الضيقة المتعرجة ..

وسلك اللوري طريقاً آخذاً في الارتفاع ، حتى انتهى بنا إلى درب متعرج ، قام في نهايته بيته الخلوي المعروف باسم بول هاوس .

إن أهل هذه المنطقة الساحلية ذوو طباع غريبة فعلا ؟

كان في الواقع بيتاً جميلاً شيد فوق ربوة صخرية عالية تطل البحر ..

ورغم قدمه فقد أضيف اليه جناح عصري حديث ، وأمتدت من . مزرعة مساحتها حوالي عشرة افدنه .

وكانت ليلتي الأولى بديعة تستهوي النفس ، وقد أطلعني مضيفي مخطوطات قديمة خاصه بالسفينة الإسبانيه جوان فرنانديز ، وبسط أم خرائط ملفوفه شرح لي معالمها باسهاب .

كما اطلعني على رسوم لأجهزة غوص أعترف لكم أنها اذكت خيالي حد بعيد ..

ولما حدثته عن لقائي بمفتش البوليس باد جوبرث إبدى اهتماماً ، وقال معقباً :

– إن اهل هذه المنطقة الساحلية ذوو طباع غريبة .فعلا .. إ التهريب والاستيلاء على الحطام يجري في دمائهم ، وعندما تتحطم س على شاطئهم وتغرق يعدونها غنيمة مشروعة لهم ، وهناك شخص منهم أن تراه ، وسوف تجد فيه نموذجاً طريفاً للماضي !

وفي اليوم التالي رافقني إلى القرية ، وعرفني بالغواص التابع له الـ هيجنز ..

وكان شخصاً جامد الملامح قليل الكلام ..

وبعد مناقشة فنية بينهما في أعمال الغوص ، ذهبنا إلى الحانة (المر الثلاث) ، حيث حلت الجعة عقدة لسان الغواص ، إذ قال لمخدومه :

– إن مفتش بوليس سري جاء من لندن ، ويقال ان السفينة غرقت هنا في نوفمبر الماضي كانت تحمل شحنة من الذهب ، على أي ليست هي أول سفينة من هذا النوع ، ولن تكون آخر سفينة ..

وهنا تدخل صاحب الحانة قائلاً :

– صدقت يا بيل هيجنز ؟

فرد عليه هيجنز قائلاً :

– إنني عند كلمتي دائماً يا مستر كيلفين ؟

كان صاحب الحانة غريب الملامح ، بوجهه الأسمر ، وكتفيه العريضتين ، وعينيه المحتقنتين ، ونظراته الحادة !

فأدركت على الفور انه هو صاحب الشخصية الغريبة التي تكلم عنها نيومان .

وما لبث صاحب الحانة أن قال في تبجح :

– إننا لا نريد أغراباً يتدخلون في شؤوننا على هذا الشاطىء .

فسأله نيودان باسماً :

– تقصد البوليس ..

فأجاب كيلفين بلهجه معنوية :

– البوليس ، وغيره ، ارجو ألا تنسى هذا يا سيد !

ولم أتمالك أن قلت لضيفي ونحن نرتقي التل عائدين إلى البيت الخاوي :

– هل تعرف يا نيومان ان لهجة صاحب الحانة بدت في سمعي أقرب إلى التهديد ؟

فضحك صديقي قائلاً :

– كلام فارغ ، انني لا أبادر الأهالي هنا بأي سوء ..

هززت رأسي متشككاً ..

فقد لامست بوادر تنذر بالشر في مسلك كيلفين وهيأته ، واعتقد ان أسباب قلقي بدأت منذ هذه المقابلة .

وكان نومي متقطعاً ومضطرباً هذه الليلة ، بعكس ليلتي الأولى .

وفي صباح يوم الأحد تغير الطقس فجـأة ، وبدا منذراً بالأمطـار والرعود .

وفي فترة بعد الظهر دعاني نيومان إلى نزهة في قـاربه البخـاري ، ولكن الأمطار هطلت فجأة حتى كان من دواعي سروري ان نعود الى الشاطىء لتغيير ملابسنا ..

وفي المساء شعرت بقلقي يتزايد ، فقد كانت العـاصفة تزيد عنفـاً في الخارج ، على أنها لم تلبث أن هدأت حوالي العاشرة مساء .

فأطل نيومان من النافذة وقال لي :

– إن الطقس بدأ يصفو ، وأراهن أنه لن يمضي نصف ساعة حتى تكون الليلة بديعة ، وفي هذه الحالة سأخرج للقيام بنزهة .

فقلت متثائباً :

– أما أنا فأشعر بميل شديد للنوم ، إنني لم أنم كفايتي في الليلة الماضية وأظن اني سأوي إلى الفراش مبكراً ..

وهذا ما فعلته .. فقد نمت نوماً عميقاً هذه الليلة ، وإن تخللته الأحلام المزعجة !

وعندما استيقظت كانت الساعة تشير إلى الثامنه صباحاً ..

وقد شعرت بصداع اليم نتيجة لتأثير الأحلام المفزعة التي خالطت نومي ؟

واتجهت إلى النافذة محاولاً تخفيف ما أشعر به ..

على انني ما كدت افتحها حتى تجددت مشاعر الفزع في نفسي .. إذ كان اول مشهد صادفته عيناي هو مشهد رجل يحفر قـبراً مفتوحـاً .

وانتظرت دقيقتين حتى تمالكت ..

ثم تبينت في النهاية ان من تصورت أنه حفـار قبور لم يكن سوى

بستاني نيومان ، وإن القبر لم يكن سوى حفرة لغرس ثلاث اشجـار ورود جديدة كانت ملقاة على الحشائش تنتظر وضعها في الحفرة .

وتطلع البستاني إلى ناحيتي ..

فبادرني بالتحية قائلاً :

– إن الطقس بديع هذا الصباح ..

فرددت تحيته مؤمناً على كلامه ، وإن لم يفارقني شعور الانقباض الذي كان يلازمني !

ومهما يكن فإنني نزلت الى الدور الأرضي لتناول طعام الافطار .. ولم يكن عند نيومان نساء للخدمة في بيته ، ولكن كانت تأتيه شقيقتان عانستان من المزرعه القريبه تتوليان اعداد مطالبه المحدودة ، وكانت احداهما تصب القهوة لدى دخولي ..

فحييتها قائلاً :

– طاب صباحك يا اليزابيث . ألم ينزل نيومان بعد ..

فردت قائلة :

– لا بد أنه خرج مبكراً يا سيدي .. فإنه لم يكن في المـنزل عندما وصلنا !

وفي الحال عاودني القلق ..

ففي اليومين السابقين نزل نيومان للافطار معي ، ولم أعهده مبكراً في الاستيقاظ من النوم ..

وقد دفعتني هذه المخاوف الى الاسراع بالصعود الى حجرة نومه ، واذا بي اجدها خالية ..

كما ان فراشه بدا مرتباً وكأنه لم ينم فيه ليلته ..

وزادت مخاوفي عندما اكتشفت شيئاً .. اذا صح ان نيومـــان قد خرج للقيام بنزهه ، فلا بد أنه خرج مرتدياً ملابس السهرة ، لأنني لم

أجدها في الغرفة .

تأكدت الآن أن مخاوفي لها ما يبررها ..

ان نيومان خرج للقيام بنزهة ليلية كما قال لي ولكنه لم يعد لسبب ما !

فهل وقع له حادث ..

هل سقط من فوق الصخور العالية !

لا بد من البحث في الحال ..

وهكذا لم تمض ساعات حتى جمعت فريقاً من المساعدين ، وأخذنا نبحث في كل مكان بين الصخور .

ولكننا لم نعثر على أثر !

وعندما تملكني اليأس في النهاية ، لم أجد الا ان ألجأ الى المفتش بادجويرث ..

وما أن استمع الى قصتي حتى علاه الوجوم ، وقال :

– يبدو لي أن هناك شراً مبيتاً .. هناك أناس لا يتورعون عن شيء في هذه المنطقة .. هل قابلت كيلفين صاحب حانة (المرامي الثلاثة) .

ولما اجبت بالايجاب ..

قال المفتش :

– هل تعرف انه كان محكوماً عليه بالسجن أربع سنوات بتهمة العنف والاتلاف ؟

– ان هذا لن يدهشني .

– ان الرأي السائد هنا هو أن صديقك نيومان يحشر أنفه في شؤون لا تعنيه ، وارجو ألا يكون قد أصابه مكروه .

وعلى أي حال فقد واصلنا البحث عن نيومان بهمة مضاعفة ..

وحوالي العصر أثمرت مساعينا الجاهدة في النهاية .. فقد عثرنا عليه في حفرة عميقة في ركن ناء في مزرعته .

وكان مقيد اليدين والقدمين ، وعلى فمه منديل محكم لمنعه من الصراخ والاستنجاد ؟

وكان المسكين ، مضعضعاً وفي حالة يرثى لها ..

ولكن بعد ان اسعفناه بالتدليك وجرعات قوية من الشراب ، استطاع أخيراً أن يحكي لنا قصته ..

قال : انه خرج حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً للقيام بنزهة بعد أن صفا الطقس ..

وقادته قدماه إلى بقعة بين الصخور تعرف باسم (كهف المهربين) تنتشر فيها مغاور كثيرة متشابهة ..

فاسترعى نظره بعض الرجال ينزلون شيئاً من قارب صغير ، وتقدم منهم مستطلعاً

وكان الشيء الذي ينزلونه كبير الحجم ، وكانوا يتجهون به إلى أحد الكهوف ..

وزاد ذلك من فضول نيومان ، حتى أخذ يقترب من الرجال لكي يتبين ما يفعلون دون أن يفطنوا إلى وجوده .

وفجأة تعالت صيحة انزعاج !

وفي الحال انقض عليه رجلان قويان ممن يعملون في البحر وغيباه عن الوعي ؟

ولما أفاق الفتى نفسه ممدداً في سيارة نقل راحت تمضي بهم جميعاً وهي تهتز وتتطاوح في درب يؤدي من الساحل إلى القرية ؟

وكم كانت دهشته عندما وجد سيارة النقل تدخل بهم من بوابة منزله .

وبعد نقاش هامس بين الرجال رفعوه من مكانه مقيداً محكماً ، والقوا به في حفرة عميقة تجعل اكتشافه غير ممكن إلى حين .. ثم واصل اللوري سيره وخرج من بوابة أخرى في دائرة المنزل أقرب إلى القرية بنحو ربع ميل ..

ولم يستطع نيومان أن يعطي أوصاف مهاجميه ، أكثر من انهم من رجال البحر ، ومن أبناء مقاطعة كورنوال طبقاً للهجتهم .

وعندئذ هتف المفتش بادجويرث وقد اشتد اهتمامه :

– ثقوا أن هذا هو المكان الذي أخفوا فيه الذهب .. لا بـد أنهم انتشلوا الشحنة بطريقة ما من السفينة الغارقة وأودعوها أحـد الكهوف المنعزلة .. ومن المعروف أننا فتشنا جميع المغـاور في منطقة (كهف المهربين) ، وإننا قائمون بتوسيع دائرة التفتيش ، والظـاهر أنهم كانوا ينقلون الشحنة ليلاً إلى كهف نكون قد فتشناه ، ولا يحتمل أن نعود إلى تفتيشه ؟ ولسوء الحظ أنهم سبقونا الآن بنحو ١٨ ساعة لاخفاء الشحنة وما داموا قد أسروا مستر نيومان في الليلة الماضية ، فأشك أنه سيكون في وسعنا العثور على الشحنة الآن ..

* * *

وقد أسرع المفتش للقيام بتفتيش جديد في ذلك المكان .

فاكتشف آثاراً تدل على ايداع شحنة الذهب في إحدى المغارات ، ولكنها نقلت من مكانها الجديد مرة أخرى ، ولم يجد أثراً يرشد إلى المخبأ الجديد ..

لكن كان هناك مع ذلك أثر توصل اليه المفتش ، وحدثني عنه في صباح

اليوم التالي قائلاً :

- إن ذلك الدرب الذي سلكه اللوري غير مطروق إلا نادراً ، وقد عثرنا في بعض مواضع منه على آثار إطارات ظاهرة تماماً ..

كانت هناك علامة مثلثه في أحد الاطارات ، وبدت واضحة تماما ، وقد تبين منها دخول اللوري إلى البوابة ، وخروجه من البوابة الأخرى ، وهذا مما يقطع بأنها سيارة النقل التي نبحث عنها ..

والسؤال الآن هو :

لماذا خرجوا باللوري من البوابة إلا بعد فترة . يبدو لي أن اللوري جاء من القرية ..

وإذا كان الأمر كذلك ، فليس في القرية سوى أشخاص محدودين يمتلكون لوريات . هم اثنان أو ثلاثة على الأكثر ، منهم كيلفين صاحب حانة (المراسي الثلاث) .

فقال نيومان :

- وماذا كانت مهنة كيلفين الأصلية ؟

فرد المفتش

- غريب أن تسألني هذا السؤال يا مستر نيومان ..

تبادلت النظر مع نيومان !

لقد بدأ اللغز يتكشف شيئاً فشيئاً . وما لبث المفتش أن سأل صديقي :

- ألم تتعرف يا صاحبي على كيلفين ، بين الرجال الذين رأيتهم على الشاطيء ؟

فهز نيومان رأسه ..

ثم قال بلهجة الأسف :

- لا أظن إنني استطيع أن اجزم بهذا ..

وقد جاملني المفتش ، وصحبني إلى حانة (المرامي الثلاث) !

وكان الجراج الملحق بها في طريق جانبي وأبوابه مغلقة .. ولكننا وجدنا في حارة ملاصقة باباً صغيراً مفتوحاً ، ولم يستغرق بحث المفتش طويلاً .. إذ هتف قائلاً :

– لقد توصلنا اليه والله ، هذه هي العلامة المثلثة واضحة كالشمس في إطار العجلة الخلفية اليسرى ، الآن لن تستطيع يا مستر كيلفين أن تتملص من هذا الموقف .

وعند هذا الحد توقف ريموند وسكت عن اتمام القصة ، فالتفتت اليه صديقته الفنانة الحسناء جويس قائلة :

– خيراً .. لا أظن بعد هذا ان هناك معضلة في هذه القصة ، اللهم إلا إذا كانوا قد عجزوا عن التوصل إلى مخبإ الذهب !

فأجاب ريموند :

– إنهم يعثروا على الذهب بالتأكيد .. ولم يتوصلوا إلى إدانة كيلفين أيضاً ، وفي ظني أنه كان اكثر دهاء ومكراً ، وإن كنت لا اعرف كيف تحقق له هذا ..

لقد قبض عليه فعلاً على أساس علامة الاطار المثلثة .

ولكن حدثت ثغرة غريبة عجز امامها البوليس ..

فقد كان امام باب الجراج العمومي كشك صغير مؤجر لسيدة فنانة ، وكانت هذه الفنانة مريضة منذ أسابيع ..

وكانت تشرف على علاجها ممرضة جلست ساهرة تلك الليلة قرب النافذة المفتوحة ، وقد شهدت بأن اللوري لا يمكن ان يغادر الجراج المواجه دون ان تراه ، واقسمت على انه لم يخرج من الجراح تلك الليلة بالمرة ؟

فقالت جويس :

لا أظن ان هذه معضلة ، فلا شك ان المرضة غفلت واستولى عليها النوم ، كما هو شأن اغلب المرضات

فرد عليها ريموند قائلا

– هناك الفنانة ذاتها ، فقد شهدت بأنها كانت تعاني آلاماً حادة تلك الليلة ، حتى ظلت مستيقظة اكثر الليل ، وكان من المؤكد ان تسمع خروج اللوري من الجراج ، خصوصاً وله ضجيج لا تخطئه الأذن في سكون الليل ، وهو ما لم يحدث !

فقال القس دكتور بندار :

وهل اثبت كيلفين وجوده بعيداً عن مكان الحادث وقت وقوعه .

فرد ريموند :

– لقد قرر انه كان في فراشه منذ الساعة العاشرة ليلا حتى الصباح ، ولكنه لم يستطع ان يقدم شهوداً يؤيدونه ..

والتفت ريموند إلى مدير البوليس السابق قائلا :

– وما رأيك يا سير هنري ؟

فأجاب سير هنري باسماً :

– الحقيقة .. انني أعرف معلومات عن هذه القضية ، ولذلك أفضل الا اتكلم ؟

فقال ريموند :

– لم يبق الا عمتي جين .. اليس لديك ما تقولينه بصدد هذه القضية ؟

فأجابت مس ماربل :

– سأتكلم بعد دقيقة يا عزيزي ، انني اخطأت في عد الغرز ، وسأتكلم بعد تصحيح العدد .

ولما عاد ريموند يسألها رأيها قالت :

– انك لن ترتاح الى رأيي يا عزيزي ، ان الشباب لا يحب عادة رأي الكهول .. الأفضل الا اتكلم !

– كلام فارغ يا عمتي جين . هيا قولي لنا رأيك ؟

فوضعت مس ماربل الخيوط وابرة التريكو جانباً وتطلعت الى ابن اخيها قائلة :

– لا بأس يا عزيزي ريموند . في رأيي انه خير لك ان تدقق في اختيار اصدقائك .. فأنت شاب سريع التصديق ، سهل الانخداع ، واظن ان السبب في ذلك انك كاتب ، ولك خيال واسع ..

يا لتلك القصة عن سفينه الذهب الغارقة ..

لو انك كنت اكبر سناً لالتزمت الحذر اكثر من هذا ، مع رجل لم تتعرف به الا من اسابيع معدودة .

وفجأة ضج السير هنري بالضحك ..

وضرب على ركبته قائلاً :

– لقد وقعت في الفخ هذه المرة يا ريموند ، اما انت يا مس ماربل فإنك عبقرية لا مثيل لها .

اعلم يا بني ، إن صديقك نيومان الذي رويت قصته ، له اسم آخر بل اسماء متعددة في الواقع ، وهو الآن ليس في مقاطعة كورنوال ، بل في مقاطعة ديفونشير ، في سجن دارتمور .

اننا لم نقبض عليه بسبب قضية شحنة الذهب المسروقة ، بل بسبب السطو على الخزانة الرئيسية في احد بنوك لندن ..

وعندما بحثنا سجله الماضي استطعنا ان نعثر على جانب كبير من الذهب المسروق من البنك مدفوناً في حديقة بيته المسمى بول هاوس .

كانت فكرته في الواقع بارعة .. فعلى امتداد شاطىء كورنوال هناك قصص منتشرة عن المحطمه الغارقه بما فيها من ذهب

وهذه القصص تفسر حكاية الغواصين .

ويمكن ان تفسر فيما بعد سبب وجود ذهب البنك عنده . لكنه كان محتاجاً لكبش فداء ، وكان كليفين هو الكبش المثـالي الذي وفى بالغرض .

والواقع ان نيومان لعب تمثيليته الكوميدية ببراعه وحذق ، وقام صديقنـا ريموند الروائي الشهير بدور المشاهد الذي لا تنقض شهادته ..

فقالت جويس معترضة :

– لكن مسألة علامة إطار اللوري ؟

فتولت مس ماربل البيان قائلة :

– انني فطنت الى هذه النقطه في حينها يا عزيزتي ..

وان كنت لا اعرف شيئاً عن سيارات النقل ان تغيير الاطارات مسألة معروفه .

ومن السهل نزع عجلة اللوري الخاص بكيلفين واخراجهـا من الباب الجانبي الصغير في الحارة وتركيبها في اللوري المملوك لمستر نيومان .

ثم الخروج باللوري من احدى البوابتين ، الى الشاطىء ، ونقـل الذهب اليه ، واحضاره الى المنزل عن طريق البوابة الثانيه .

وبعد ذلك كان من السهل اعادة العجلة المملوكة الى اللوري الخاص به ، في الوقت الذي تكفل فيه احـدهم بتقييد مستر نيومان ووضعه في الحفرة ، واظن ان الرجل الذي ادعى انه البستاني هو الذي تكفل بهذه العمليه .

فقال ريموند بلهجه العجب :

– ولماذا تقولين : (ادعى انه بستاني) ؟

فأجابت مس ماربل :

– حسناً ، لا يمكن ان يكون بستانياً حقيقياً ، لأن البستانيين لا يعملون في يوم الاثنين الموافق عيد العنصرة ، كما هو معروف لنا جميعاً .

وطوت مس ماربل خيوطها وابرتها قائلة :

– في الواقع ان هذه الحقيقه الصغيرة هي التي اتاحت لي السير في الوجهه السليمه ..

وعندما تصبح رب بيت يا عزيزي وتكون لك حديقتك الخاصه ، فسوف تعرف جيداً هذه المسائل اليسيرة ..

الفصل الرابع

بقع الدم

قالت جويس لامبريير الفنانة الحسناء لضيوف الندوة :

– حدثت هذه القصة الغريبة منذ خمس سنوات ..

ورغم ذلك فإنها مـا زالت تطالعني إلى الآن باستمرار .. ومسرح القصة في (راشهول) ، وهي قرية صغيرة من قرى صيد الأسماك في مقاطعه كورنوال تمتاز بمشاهدها الطبيعية الخلابة

وقد قصدت اليها لرسم لوحه عن موقعها الفريد ، وقضاء أسبوعين بين ربوعها لهذا الغرض .

وكان في القرية فندق عتيق اسمه (بولها رويت آرمز) كان يقـال انه المبني الوحيد الذي بقي في القرية بعد أن دمر الاسبان شواطىء المنطقة بمدافع سفنهم المغيرة منذ مئات السنين .

والفندق ذاته جميل أثري له مدخل قائم على أربعه أعمدة . وقد اخترت موقعاً جميلا بقربه ووضعت أدوات الرسم لأبدأ في رسم لوحتي المنشودة عندما توقفت بقربي سيارة نزل منها رجل وامرأة ..

وبعد أن غاب الرّجل في الفندق برهة عاد إلى السيارة ، وقـادها إلى

ناحية رصيف الميناء حيث تركها ، ومر بي عائداً إلى الفندق !

وفي نفس الوقت جاءت سيارة أخرى من ناحية التل تشق طريقها بصعوبة في الشوارع الضيقة المتعرجه . ثم هبطت منها امرأة في فستان مشجر زاهي الألوان ، وعلى رأسها قبعه عريضه من القش ذات لون أحمر صارخ !

ولكن هذه المرأة لم تتوقف امام الفندق ، بل واصلت قيادة السيارة إلى أقصى الحارة ، حيث نزلت منها أمام فندق آخر ، وما أن لمحها الرجل حتى صاح يناديها في دهشة :

ـ كارول ؟ تصوري إننا نلتقي من دون الأماكن كلها في هذه البقعة النائيه ، إنني لم أرك منذ سنوات . معي هنا مرغريت زوجتي ، لا بد أن تأتي لمقابلتها !

وسارا جنباً لجنب ، إلى حيث خرجت المرأة الأولى للقائهما .

وكنت قد القيت نظرة عابرة على ملامح المرأة المدعوة كارول وهي تمر بي !

فرأيت وجهها تعلوه المساحيق ، وفمها مصبوغاً باللون القرمزي الصارخ .. حتى لم أتمالك أن عجبت كيف تسر زوجة الرجل بلقاء امرأة مثلها ؟

وقد سمعتهم من مكاني يتبادلون الحديث عن السباحة !

فكان الزوج الذي سمعت أن اسمه دنيس يفكر في استئجار قارب ، والطواف به حول الشاطىء حيث يوجد كهف شهير يستحق المشاهدة ، وكانت كارول تريد مشاهدة الكهف أيضاً ، ولكنها فكرت أن تسير على امتداد الشاطىء الصخري لكي تشهد الكهف من ناحية البحر ، نظراً لكراهيتها لركوب البحر ؟

وفي النهاية تم الاتفاق بينهم على أن تسير كارول على امتداد الشاطىء

لكي تقابلهما عند الكهف ، بينما يستقل دنيس ومرغريت القـــارب ويقابلانها هناك !

وقد أثار حديثهم عن السباحة شوقي اليها ..

وكان الصباح حاراً ، ولم أكن موفقة في الرسم ، وقدرت انني في ضوء الشمس وقت العصر أن أجيد عملي

وهكذا طويت أدواتي ، وقصدت إلى بقعة في الشاطىء كنت اخترتها لنفسي من قبل ..

وكانت الناحية المواجهة لموقع الكهف .

وبعد استمتاعي بالسباحة ، تناولت غداء خفيفاً !

ثم عدت وقت العصر مجددة النشاط والحماسة ، لاستئناف رسم لوحتي !

واخترت بقعة أمام الفندق كانت لأشعة الشمس فيها ظلال رائعة تجعل مشهد الفندق كلوحة فنيه آية في الروعة ..

وقد استخلصت أن فريق السباحة الثلاثي عاد من الرحلة بأمان ، لأني رأيت ردائي استحمام منشورين في الشرفة لكي يجفا ، أحدهما قرمزي والثاني أزرق قاتم

وأثناء انهماكي في الرسم رفعت رأسي فجأة ، ولمحت شخصاً مستنداً إلى أحد الأعمدة عند مدخل الفندق ، وكأنه ظهر في مكانه بسحر ساحر ، وكان يرتدي ملابس رجال البحر ..

ولعله أحد الصيادين ، ولكن كانت له لحية طويلة سوداء ذكرتني بالقراصنة الاسبان ..

كان مشهده فريداً في الواقع ، حتى لم أتمالك أن أدخلته في دائرة اللوحة ، وجعلت أرسم بحماسة منقطعة النظير قبل أن يغير وقفته تلك .

ثم تحرك الرجل أخيراً ..

ولكن بعد أن فرغت من رسم وقفته ، وتقدم إلى ناحيتي وبادرني بالحديث قائلاً :

- إن قرية راشهول مكان جذاب فعلاً .

ومع انني أمنت على كلامه .

إلا انني مضيت في اتمام الرسم بهمة مضاعفة ، وهو يقص علي قصة تدمير القرية على أيدي الاسبان وما سال فيها من دماء آ

والغريب انني انفعلت بكلام الرجل حتى وجدتني قد رسمت شيئاً لم يكن موجوداً امام ساحة الفندق ..

رسمت دماء تسيل في الطريق ..

وعجبت كيف غلبني الخيال حتى سجلت فرشاتي شيئاً لم تبصره عيني ..

ولكني عندما اتجهت بنظري إلى ناحية الفندق مرة ثانيـــة تلقيت صدمة جديدة ..

فإن يدي كانت قد سجلت ما رأته عيناي فعلاً ، وهو بقع من الدم على أرضية الحارة البيضاء .

جملت احدق فترة .

ثم أغمضت عيني وأنا أقول لنفسي :

« لا تكوني بلهاء . ليس هناك شيء في الواقع » ؟

وفتحت عيني !

ولكن بقع الدم كانت لا تزال موجودة ..

شعرت أنني لن أحتمل هذا ..

فقاطعت الصياد الذي كان مــاضياً في ثرثرته عن اعتداءات الاسبان الماضية على القرية والدماء التي سفكوها ..

وقلت له

– قل لي . إن نظري ليس على ما يرام .. هل هذه بقع دم على البلاط هناك ؟

فنظر الي الرجل في وداعة قائلاً :

– لا دماء في هذه الأيام يا سيدتي . إن ما قلته لك قد حدث منذ خمسمائة سنة ؟

– نعم .. ولكن الآن ، على بلاط الحارة !

وتوقفت الكلمات على لساني ؟

وفي هذه اللحظة رأيت الشاب الذي جاء في السيارة في ذلك اليوم يخرج من الفندق ..

ووقف يتطلع حواليه تعلو وجهه إمارات الحيرة ؟

ثم خرجت زوجته إلى الشرفة التي وقف تحتها ، وجمعت ملابس السباحة .

وقد سار الشاب إلى ناحية السيارة ، ولكنه استدار فجأة وجاء إلى ناحيه الصياد وقال له :

– قل لي يا صاحبي ، هل تعرف إذا كانت السيدة التي جاءت في السيارة الأخرى الواقفة هناك قد رجعت إلى الفندق ؟

– السيدة ذات الفستان المشجر .. لا يا سيدي إنني لم أرها ، إنها ذهبت صباح اليوم من ناحية الصخور في اتجاه الكهف

فرد الشاب :

– أعرف . أعرف إننا سبحنا كلنا هناك سوياً ، ثم تركتنا عائدة ، ولم أرها بعد ذلك . لا يمكن أن تستغرق كل هذا الوقت ، إن الصخور هناك ليست خطرة ، اليس كذلك ؟

فرد الصياد :

– المسألة تتوقف على الطريق الذي تسلكه ، إن أفضل طريقة هي

أن تصاحب شخصاً يعرف المكان !

وكان الصياد يقصد شخصه بالطبع ..

وراح يتوسع في هذه النقطة !

ولكن الشاب قاطعه بغير مجاملة ، وأسرع عـائداً إلى الفندق ونادى زوجته في الشرفة قائلا :

– اسمعي يا مرغريت ، إن كارول لم تعد .. غريب هذا فعلا ..

فلم استطع ان أسمع رد مرغريت :

ولكن زوجها أضاف قائلا :

– على أي حال ، لا يمكننـا الانتظار أكثر من هذا أبداً ، لنـا أن نتـابع السير إلى (بنريثار) .. هل أنت مستعـدة ؟ سأدير السيارة ؟

وفعل هذا ..

وبعد قليل مضت بهما السيارة مبتعدة ؟

وجمعت أدوات الرسم ، وذهبت إلى الفندق الصغير ، وأخذت أفحص بلاط الحارة بإمعان !

فلم تكن هناك بقع دم بالطبع !

كان ما رأيته لوناً من خداع البصر والخيال ، ومع ذلك لم أشعر بالراحة والسكينة ..

وفي وقفتي هذه سمعت صوت الصياد عن كثب مني يقول وهو يتترس فيّ بصورة غريبة :

– هل ظننت يا سيدتي انك رأيت بقع دم هناك ؟

ولما أومأت إيجاباً ..

قال الصياد :

– هذا شيء غريب .. غريب جداً ! عندنا عرافة هنا تقول أنه إذا

شاهد أحد تلك البقع الدموية ، يقع حـادث وفاة في خلال أربع وعشرين ساعة ؟

شعرت بقشعريرة في جسدي ..

بينما مضى الصياد يقول :

– هناك لوحة أثرية في الكنيسة عن وفاة ..

ولكنني شكرته بحزم ، ودرت على عقبي عائدة إلى الكشك الذي استأجرته ..

وما كدت أصل اليه حتى لمحت على البعد المرأه المدعوه كارول آتية في طريق الممر الصخري ..

كانت مسرعه في سيرها .

وبدا لي مشهدهـا في ظلال الصخور القاتمة أقرب إلى زهره قرمزية سامة ، وكانت قبعتها بلون الدم ..

لكني انتزعت نفسي من هذه الأوهام بقوه ، لا شك ان الدم قد سيطر على خيالي وحواسي ..

ثم سمعت فيما بعد صوت سيارتها !

وتساءلت ترى هل هي ذاهبة إلى (بنريثار) أيضاً ، لكنها سلكت الطريق اليساري في الجهة المقابلة ..

ووقفت أراقب السياره تزحف صاعده في طريق التل حتى غابت عن نظري

فلم أتمالك أن تنفست الصعداء ، اذ عاد الهدوء الى القرية من جديد !

وعندما توقفت جويس عند هذا الحد من القصة ..

قال ريموند ويست :

اذا كان هذا هو كل شيء ، فإنني سأصدر حكمي على القصة فوراً ، المسألة كانت بالنسبه اليك يا جويس مجرد عسر هضم وظهور بقع أمام

العينين بها الوجبات !

فتجاهلت جويس هذا الاسلوب التهكمي ..

واستطردت تقول :

– لم تنته القصه بعد ، ولا بد أن تسمعوا البقيه ، انني قرأت في الصحف بعد يومين اثنين مقالاً تحت عنوان :

(حادث محزن بسبب السباحه) .

وجاء في المقال ان مسز داكر ، زوجه الكابتن دنيس داكر ، غرقت في البحر عند كهف لاندير ، على مسافة من الشاطىء .. وكانت قد نزلت مع زوجها في الفندق هناك وقتها ، ونزلا الى البحر للاستحمام ، ولكن هبت رياح باردة ، فخرج الكابتن داكر من البحر بسبب بروده الجو ، وذهب مع بعض النازلين في الفندق للعب في الملعب القريب .

أمـا زوجته فقد قالت ان الطقس محتمل بالنسبة لها ، وقصدت وحدها الى الكهف ..

ولما لم تعد ، فقد انزعج زوجها ، وذهب مع رفاقه يبحثون عنها لدى الشاطىء ..

فوجدوا ملابسها قرب احدى الصخور ، ولكنهم لم يعثروا على أثر السيده المذكوره : ولم تظهر جثتها الا بعد حوالي أسبوع ، عندما قذفتها الأمواج الى الشاطىء !

وقد وجد برأسها أثر ضربة حدثت قبل الوفاة ، وكان الرأي السائد هو ان رأسها اصطدم بصخرة تحت الماء وهي تقفز للغطس !

وحسب تقديري ، فإن الوفاه لا بد قد حدثت بعد حوالي أربع وعشرين ساعة من وقت رؤية بقع الدم التي ذكرت لكم أمرها ؟

وهنا قال سير هنري مدير بوليس اسكتلنديارد السابق :

– انني أعترض . ليست هذه قضيه بوليسيه انها قصه من قصص العفاريت

والأشباح ، والظاهر ان مس جويس أصبحت وسيطه !

ولما لم تجد جويس بين الموجودين من يناصرها ، التفتت في النهاية الى مس ماربل مستنجده ؟

فابتسمت السيده العجوز قائلة :

— انني أنظر الى الموضوع من زاوية معينه ، هي زاوية الملابس ، وليس من العدل يا عزيزتي جويس أن تطرحي قضيه تتعلق بالملابس النسائيه على الرجال

خصوصاً وان تغيير الملابس بسرعه ، وبطريقه متعاقبه كان له تأثير كبير في القضيه ، يا لها من امرأه قاسيه شريره !! ويا له من رجل أشد قسوه وشراً !!

فحدقت فيها جويس وهتفت :

— هل عرفت الحقيقه يا مس ماربل ؟

فقالت مس ماربل :

— انها يا عزيزتي أسهل بالنسبه لي وأنا جالسه هنا مستريحه أكثر مما كانت لك وأنت فنانه عرضه للتأثر بالجو من حولك ..

أليس كذلك ؟ ان جلوسي هنا وانا اشتغل بإبرتي يمكني من رؤية الحقائق ؟

ان بقع الدماء سقطت على البلاط من رداء السباحه المعلق في الشرفه ، ونظراً لأن رداء السباحه كان أحمر اللون ، فإن الجناة انفسهم لم يدركوا بالطبع أن هناك بقع دماء ، مساكين !

وهنا قال سير هنري :

— معذره يا مس ماربل . لكن هل تعرفين اني ما زلت في ظلام ؟ يبدو انك انت ومس جويس تعرفان من المقصود ، ولكننا معشر الرجال ما زلنا في ظلام مطبق ؟

فقالت جويس :
ـ سوف أخبركم بنهاية القصة ..

فقد حدث بعد ذلك بسنة انني كنت في أحـد المصايف البحرية الصغيرة منشغلة برسم اللوحات ، عندما استرعى نظري شيء خيل إلي أنه تكرر أمامي من قبل .
فقد رأيت شخصين ، رجلا وامرأة ، يقفان على الرصيف أمامي ويسلمان على شخص ثالث !

كان امرأة ترتدي فستاناً به ورود قرمزية صارخة ، وسمعت الرجل يقول لهذه المرأة :
كارول .. يا المصادفة السعيدة ، تصوري اننا نتقابل هنـا بعد كل هذه السنين ! أنت لا تعرفين زوجتي ؟ يا جوان ، هذه صديقة قديمة من أصدقائي ، مس هاردنج ..

وفي الحال عرفت الرجل ..
كان دنيس نفسه الذي التقيت به في فندق اراثهول .. أما زوجتـه فكانت مختلفة !
أعني أنها كانت (جوان) بدلاً من مرغريت ، ولكنها كانت تماثلها في صغر السن والسذاجة !
وبدا لي وقتها اني سوف أجن ! فقد أخذ الثلاثة يتكلمون عن رغبتهم في السباحة ؟
وأقول لكم ، ماذا فعلت وقتها ، فقد اتجهت إلى مركز البوليس مباشرة غير عابئة بما قد يبدو لهم من جنوني ، ومن حسن الحظ انني أحسنت صنعاً بذهابي إلى البوليس ..

فقد وجدت هناك واحداً من رجال اسكتلنديارد ، وكان قد جاء من أجل هذه المسألة بالذات ..

والظاهر أن البوليس كان قد ارتاب في أمر دنيس داكر ، وتبين إن هذا الاسم لم يكن اسمه الحقيقي ، فإنه كان يتخذ أسماء مختلفه لكل مناسبة !

وأتضح انه كان يتعرف بالفتيات ، وهن عادة من النوع الهادىء الساذج الذي ليس له أصدقاء ولا أقارب كثيرون ؟

وكان يتزوجهن ويقوم بالتأمين على حياتهن نظير مبالغ كبيرة ..

وبعد ذلك !

أواه ! يا للفظاعة ..

إن المرأة المدعوه كانت زوجته الحقيقية ، وكانا يقومان دائماً بتنفيذ نفس العملية .

وهذا هو ما سهل للبوليس ضبطه ، فإن شركات التـــأمين بدأت تشك في الأمر ..

وكان يختار أحد المصايف الصغيرة الهادئة مع زوجته الجديده ، ثم لا تلبث المرأه الأخرى ان تظهر فجأه ، ويذهب الثلاثه للاستحمام في البحر ، وعندئذ تقتل الزوجه ؟

فتقوم كارول بارتداء ملابسها وتعود معه في القارب إلى الفندق ، وبعد ذلك يغادران المكان بعد السؤال عن كارول المزعومة ، وعندما يصبحان خارج القرية تسارع كارول بارتداء ملابسها الخـاصة المشجرة ، وتصبغ شفتيها باللون الأحمر القرمزي وتعود إلى فندقها ، ثم تواصل رحلتها في سيارتها الخاصة ؟

وبعد ذلك يبحثان عن اتجاه تيارات البحر ، حيث تكتشف الوفـــاة المزعومة عند نقطة الاستحمام التالية على امتداد الشاطىء .

ذلك ان كارول كانت تلعب دور الزوجة هناك قرب إحدى الصخور ثم تبتعد وهي مرتدية ملابسها المشجرة ، وتنتظر بهدوء إلى أن ينضم

اليها زوجها ؟

وأظن أنهما عندما قتلا مرغريت المسكينة فإن بعض الدم كان قد انبثق فوق رداء استحمام كارول ؟

ونظراً للونه الأحمر فإنهما لم يفطنا إلى ذلك ، كما أشارت مس ماربل إلى هـــذا ؟

ولكنهما حين علقاه في الشرفة كي يجف ، تساقطت منه بقع الدم .. بالطبع .. إن الصورة ما زالت ماثلة أمام عيني ..

قالت مس جويس هذه الكلمات وهي ترتعد .

فقال سير هنري :

– نعم .. تذكرت الآن هذه القصة . إن إسم الرجل الحقيقي كان ديفيس ، وقد غـــاب عن ذاكرتي ان لقب داكر كان أحد أسمائه المستعارة .. إن الاثنين كانا في منتهى المكر ، وكان من بواعث الدهشة حقاً ان أحداً لم ينتبه إلى تغيير الشخصية .

وأظن أن التعرف على الملابس أسهل من التعرف على الوجوه ، كما أشارت مس ماربل ؟

لكنها كانت خطة بارعة إلى حد بعيد ، فعلى الرغم من إننا شككنا في أمر ديفيس هذا ، إلا أننـــا لم نستطع اثبات الجريمه ضده لشدة احتياطـه في انتحال شخصيات يستطيع اثبات وجودهـا بعيداً عن مكان الجريمة ؟

وعند ذلك التفت ريموند الى مس ماربل ..

وقال لها مستغرباً :

– قولي لي يا عمتي ، كيف تتوصلين إلى استنتاجاتك الرائعة ؟ انك عشت حياة هادئه في الريف ، ومع ذلك لا أرى أي حـــادث يثير دهشتك ؟

فقالت مس ماربل :

- اني أجد دائماً ان الحوادث تتشابه في هذه الدنيا ، فهناك مثلاً مسز جرين التي دفنت خمسة أطفال ، وكان كل منهم مؤمناً على حياته ، وطبيعي أن الاشتباه يحدث في مثل هذه الحالات ؟

ثم هزت رأسها وأضافت قائلة :

- هناك قدر كبير من القسوة والشر في حياة الريف ذاتها ، ولعلكم تدركون يوماً ما أيها الشباب أن الدنيا مليئة بالقسوة والشر ..

الفصل الخامس

الوصية ..

تنحنح المحامي باتريك وبدأ حديثه لأعضاء الندوة قائلاً :

– ربما كانت قصتي هذه متواضعة بالقياس إلى قصصكم الشائقة ، ولكنها رغم ذلك محبوكة العقدة ، ومن حسن الحظ انني اعرف حلها الصحيح .

فقالت مس ماربل وهي تهز أبرة التطريز في وجهه بين ابتسام أعضاء الندوة الليليه التي رأيناها في الفصول السابقة :

– لا نريد الغازاً قانونية تتوه العقول في فهمها ؟!

فطمأنها المحامي ..

وبدأ حديثه قائلاً :

– هي قصة أحد موكلي ، وسوف أسميه سيمون كلود .. وكان رجلاً واسع الثراء ، يقطن في بيت كبير لا يبعد عن منطقتنا كثيراً ، وكان له ابن وحيد قتل في الحرب ، تاركاً طفلة صغيرة توفيت أمها لدى مولدها ..

« وجاءت الطفلة للاقامة عند جدها الذي تعلق بها إلى أبعد الحدود ،

ولا يمكنني أن أصف لكم حزن الرجل وتفجعه عندما أصيبت الحفيدة الصغيرة كريس بالتهاب رئوي أودى بحياتها الغضة ؟

وكان لسيمون كلود المسكين أخ توفي حديثاً في ظروف منكوده ، فاستقدم سيمون كلود أبناء أخيه للاقامة في بيته ، وكانوا بنتين هما : كريس وماري ، وولداً هو جورج ..

ورغم إن الرجل المسن كان عطوفاً وسخياً حيال أبناء أخيه ، إلا أنه لم يسبغ عليهم تلك المحبة الخالصة التي كان يختص بها حفيدته الصغيرة ..

وعلى أي حال فإنه هيأ عملاً لجورج في بنك قريب ، وتزوجت كريس صيدلياً نابغاً يدعى فيليب جارود

أما ماري التي كانت معروفة بالهدوء والانطواء ، فقد أقامت في البيت ترعى عمها ..

وظلت الأمور تسير حيناً على هذا النحو الهادىء ..

ويحسن بي أن أضيف إلى هذا أن سيمون كلود جاءني بعد وفاة حفيدته الصغيرة ، وكلفني باعداد وصية جديدة تقضي بأن تؤول ثروته إلى أبناء أخيه ، بنسبه الثلث لكل منهم .

وتتابعت الأيام على هذا النحو .

إلى أن التقيت ذات يوم بجورج كلود واستفسرت منه عن عمه الذي لم أكن قد رأيته منذ مدة ..

وشد ما كانت دهشتي عندما قال لي الشاب مستاء :

– ليتك تستطيع أن ترد الصواب إلى عمي سيمون ، إن مسألة تحضير الأرواح تزيد حاله من سيء إلى أسوأ ..

واخبرني الشاب بالقصة .. فقال :

– ان عمه بدأ يهتم بهذه المسألة ، إلى أن التقى بوسيطة امريكية تدعى

مسز بوراديس سبراج ، استطاعت أن تتسلط عليه ، وأخذت تتردد على البيت حتى أصبحت اقامتها فيه شبه دائمة ..

وكانت تعقد جلسات تحضير الأرواح لاستحضار روح الحفيده كريس التي كان الجد مفتوناً بها إلى حد الهوس ..

ومع انني من المحايدين في موضوع تحضير الأرواح ، الا أن ما سمعته من جورج كلود جعلني أعتقد أن مسز بوراديس سبراج هذه محتالة خداعة الى أقصى حد !

وان الرجل العجوز رغم دهائه في مسائل الأعمال والمال ، الا أنه فريسة سهلة لأمثاله بسبب افتتانه بحفيدته الميته !

وتابع المحامي :

وعندما قلبت الأمر على مختلف وجوهه أيقنت أن تأثير مسز سبراج على العم العجوز قد يؤدي في النهاية إلى الاضرار بأبناء أخيه .

وهكذا تذرعت بأول فرصة ، وقمت بزيارة سيمون كلود ، فوجدت مسز سبراج متربعة في البيت عزيزة مكرمة ..

وما كاد نظري يقع عليها حتى تحققت كل مخاوفي ..

كانت امرأة قوية البنية في متوسط العمر ، ترتدي ملابس زاهية .. ووجدتها تحشو كلامها بالحديث عن « أعزائنا الذين فارقونا » إلى غير ذلك من العبارات المنتقاه .

وكان لها زوج يقيم معها في المنزل يدعى السالوم سبراج ، وهو رجل نحيل ، كالح الوجه ، زئبقي النظرات .

وقد انتهزت أول فرصة سانحة فانفردت بسيمون كلود ، وفاتحته في الموضوع بحذر !

فوجدته ممتلئاً حماسة ، قال :

— ان بوراديس أعجوبه ، أرسلتها اليه السماء استجابة لدعواته ..

وهي لا تبحث عن المال ، وانما كل سعادتها ومتعتها أن تخفف الحزن عن قلب مكلوم !

وقد بدأ ينظر اليها كإبنة له ؟

ثم انتقل من ذلك الى التفاصيل ..

فراح يشرح له كيف سمع صوت حفيدته كريس وهي تتكلم ، وكيف انها سعيده بوجودها مع أبويها ، بل كيف ان الأب والأم أصبحا يحبان مسز سبراج العزيزة !

ولما سأله المحامي ان كان مطمئناً الى مسز سبراج هذه ، راح يدافع عنها بحرارة وقوة .

وفي النهايه انصرفت من عنده وأنا غير مرتاح بتاتاً ، ولا أعرف كيف أتصرف ..

وبعد طول تفكير وتدبر كتبت الى فيليب جارود زوج بنت أخيه كما تقدم ..

فشرحت له القصة ، مبيناً خطر سيطره مثل هذه الدجالة على تفكير العجوز ومشاعره .

واقترحت عليه أن يتصل بعم زوجته ، وأن يستعين اذا أمكن بأخصائي من الموثوق بهم في المسائل الروحانية ؟

وكان جارود سريعاً في الاستجابة ..

فقد رأى ما لم أره ، وهو أن الرجل العجوز في حالة صحية دقيقه ، وأدرك انه لا يمكن أن يترك الأمور على ما هي عليه ، والا حرمت زوجته وأختها وأخاها من الميراث الذي هو حقهم الشرعي .

وفي خلال أسبوع زار عم زوجته بصحبة البروفسور لونجهان العالم والمتخصص في الروحانيات !

وكان حجة في هذا المجال وشخصيه محترمه .

ولكن النتيجه كانت مؤسفة !

فإن العالم الروحاني لم يستطع بعد جلستين أن يجزم بشيء قاطع ، وان أشار على جارود ، في رسالة له ، باستقـدام وسيطة اخرى من الموثوق بهن .

والواقع ان سيمون كلود لم يكد يطلع على هذه الرسالة حتى إستشاط غضباً وقال :

ـ ان هذه مؤامرة للاساءه الى مسز سبراج الذي يعدها قديسة ، فإنها جاءت اليه في أحلك ساعات حياته ، ومنحته السلوى والراحه ، وانه مستعد لمخاصمه أهل البيت جميعاً تمسكاً بهذه التي يعدها أغلى من أي انسان في الدنيا كلها !

وبتأثير هذه القضيه تأثرت صحه العجوز ، وتدهورت حالته حتى لم يعد يفارق الفراش ..

وقد حدث بعد يومين من رحيل جارود أن تلقيت دعوة عاجلة من سيمون كلود لمقابلته .

فأسرعت اليه ، حيث وجدته قد اشتد به المرض فعلاً ، وقد قال لي وهو يلهث :

ـ أشعر ان نهايتي قريبه يا باتريك ، ولكني أريد قبـل أن أموت أن أقوم بواجبي نحو المخلوق الوحيد الذي منني من الفضل ما لم يمنحه أي انسان آخر في الدنيا ، أريد اعداد وصيه اخرى ..

فقلت له :

ـ بالتأكيد .. اذا اعطيتني تعليماتك الآن ، قمت باعـداد الوصيه التي تريدها وأرسلها اليك ..

فقال العجوز :

ـ هذا لا ينفع ، وكيف تقول هذا يا رجل ، وربما لا أعيش سواد

هذه الليلة ؟! إنني كتبت هنا ما أريد ، ويمكنك أن تقول لي إذا كان سليماً ..

وأخرج من تحت الوسادة قصاصة ورق مكتوبة بالقلم الرصاص ، أوصي فيها بمنح مبلغ خمسة آلاف جنيه لكل من ابنتي وابن أخيه ، وتخصيص باقي الثروة الطائلة – لبوراديس سبراج ، (امتناناً وتقديراً) !

لم أسترح لهذا .

لكن كان هو الواقع ..

فلم يكن ثمة مجال لاتهامه بخلل في قواه العقلية ، فقد كان سليم العقل ، كأي انسان من هذه الناحية !

ولم يلبث سيمون كلود أن ضغط على الجرس واستدعى اثنين من الخدم هما إيما جونت وصيفته الخاصة التي كانت في خدمته مدة طويلة وتفانت في تمريضه ، والطاهية لوسي ..

وقد بادرهما سيمون قائلاً وهو يحدقهما بنظراته الحادة :

– أريد أن تشهدا على وصيتي ، هاتي قلمي الحبر يا إيما ..

فأطاعت إيما ، وتقدمت إلى المكتب ..

ولكنه استوقفها قائلاً :

– ليس الدرج الأيسر يا بنية .. ألا تعرفين أن القلم في الدرج الأيمن ؟

فقالت إيما وهي تبرز القلم :

– لا .. إن القلم هنا يا سيدي ..

فقال العجوز متأففاً :

– إذن ، لا بد أن تكوني قد وضعته خطأ في آخر مرة ، انني لا أطيق وضع الأشياء في غير مكانها الصحيح !

وأخذ القلم ونسخ الوصية في ورقة أخرى بمساعدتي وتنقيحي ، ثم وقع

عليها بامضائه ..

وقد وقعت أيضاً كل من إيما جونت والطاهية لوسي ، وبعد ذلك طويه الوصية ووضعتها في مظروف مستطيل أزرق ..

وقبل أن نبارح الغرفة قال لي باسماً رغم شدة اعيائه :

– سأموت الآن مرتاح البال بعد أن فعلت ما كنت أبغي .

ونظرت إلي إيما جونت مستطلعة ، كأنما تستفهم إن كان يمكنها أ تترك الغرفة .

فأومأت اليها أطمئنها وخرجت – ولكن بعد أن انحنت والتقطت المظروف الأزرق الذي سقط مني أثناء انشغالي وردته الي ، فوضعته جيبي ..

وخرجت هي على الأثر ..

ونظر الي سيمون كلود بعد انصراف الوصيفة قائلاً :

– أراك مستاء يا باتريك ، أنت متحيز متحامل مثل غيرك .

فقلت له :

– المسألة ليست مسألة تحامل أو تحيز .. انني لا اعارض في أن تهب مسز سبراج منحة مناسبة اعترافاً منك بجميلها ..

لكني اقول لك صراحة يا كلود ان حرمان من هم من دمك ولحمك ، الميراث إيثاراً لانسانة غريبة عنك ، هو عمل خاطىء ..

وخرجت من الغرفة بعد أن سجلت احتجاجي على هذا التصرف .

وخرجت ماري كلود من غرفة الجلوس ..

وقابلتني في الصالة قائلة :

– هلا شربت الشاي قبل انصرافك ؟ تعال معي ..

وقادتني إلى غرفة الجلوس ، حيث كانت المدفـــأة موقدة ترسـ دفئاً مغرياً ..

فساعدتني في خلع معطفي حين دخل أخوها جورج إلى الغرفة ، فأخـذ المعطف ووضعه فوق مقعد في أقصى الغرفه ، ثم انضم الينـا قرب المدفأة حيث جلسنا نشرب الشاي ..

وأثناء الحديث أثار جورج موضوع متعلق بأملاك كان عمه قـد كلفه ببحثها ..

ولكنه لم يكن مرتاحاً للقيام بهذه المهمة ، واستطلع رأيي في صددها ، فانتقلنا بعد الشاي إلى حجرة المكتب للاطلاع على الأوراق الخـاصة بالموضوع ..

وصحبتنا ماري لهذا الغرض ..

وبعد ربع ساعة تأهبت للانصراف !

ولما تذكرت انني نسيت معطفي في غرفة الجلوس مضيت اليهـا لأخـذه ..

فوجدت في الغرفة مسز سبراج وحدها ، وكانت منحنية على الأرض قرب المقعد الذي تركت معطفي فوقه ..

وبدت كأنما تفعل شيئاً في كسوة المقعد ..

وما أن دخلت عليها حتى نهضت وقد احمر وجهها ، وقالت بلهجة من يشكو من شيء :

– إن هذه الكسوة غير سليمة .. وفي امكاني أن أصنع واحدة أفضل منها ؟

ومهما يكن فقد تناولت المعطف وارتديته . وأثنـاء ذلك لاحظت أن المظروف الأزرق المحتوي على الوصية كان قد سقط من جيبي ، ورأيته ملقى على الأرض ..

فأعدته إلى جيب المعطف ..

وسلمت ، وانصرفت ..

وسأصف لكم بدقه ما فعلته في المكتب عند وصولي اليه .
فقد خلعت المعطف وأخذت الوصية من جيبه !

وكنت لا أزال ممسكاً بالمظروف عندما دخل الكاتب وقال لي :
إن أحد الزبائن يطلبني في التلفون .

ولما كانت وصلة التليفون في مكتبي معطلة ، فقد تركت المظروف على المكتب !

وتبعت الكاتب إلى المكتب الخارجي حيث بقيت حوالي خمس دقائق منهمكاً في الحديث التليفوني ؟

وعندما خرجت وجدت الكاتب ينتظرني قائلاً :
– إن مستر سبراج جاء لمقابلتك يا سيدي ، فأدخلته مكتبك ؟
فمـــدت إلى غرفة مكتبي ، حيث وجدت مستر سبراج جالساً قرب المكتب !

وبعد التحيه والمقدمات أخذ يتحـــدث عن زوجته وعن نفسه بافاضه ، مؤكداً على استقامتها وبعدهمـــا عن كل مأرب ، فاستمعت اليه بفتور ؟

وانصرف مستر سبراج في النهاية شاعراً بـأنه فشل في مهمته .. ولما تذكرت انني تركت المظروف على المكتب اخذتـه وختمتـه بالشمع ، ووضعته في خزانتي .

وتمهل المحامي باتريك برهه ..
ثم استطرد يقول :
– والآن أصل إلى عقدة القصة .. لم ينقض شهران على ذلك حتى توفي سيمون كلود .. ولن أفيض في الكلام عمـــا حدث بعد ذلك ، ولكنني أجتزيء فأقول (اننا عندما فتحنا المظروف الأزرق المحتوي على الوصية ، وجدناه يحتوي على ورقه بيضاء) ؟

وتوقف المحامي ، وأخذ يتفرس في وجوه الضيوف حوله بنظرات لا تخلو من الاستمتاع ..

ثم استطرد قائلاً :

– إنكم تقدرون هذه النقطة بالطبع ؟ لقد تركت المظروف المختوم بالشمع في خزانتي شهرين ، ولم يكن من الممكن أن يعبث به أحد أثناء ذلك .. والآن ، من يمكن أن تكون الفرصة سنحت له لذلك ، ومن الذي كانت له مصلحة في أن يفعل هذا ؟ هذه هي المعضلة التي أطرحها عليكم ، ويسرني أن أستمع إلى آرائكم .

وشد ما كانت دهشتهم جميعاً عندما سمعوا مس ماربل تضحك ضحكة طويلة عالية ..

وكأن هناك ما يثير التفكه عندها إلى أبعد حد ..

فقال ابن أخيها ريموند :

– ماذا جرى يا عمتي ؟ الا يمكن أن نشاركك هذه الفكاهة ؟

فقالت مس ماربل :

– هذا شرك من جانب المحامي يريد أن يوقعنا فيه .. اليس كذلك يا سيدي المحامي العزيز ؟

فقال المحامي وقد لمعت عيناه :

– ترى هل توصلت إلى شخصية الفاعل ؟

فكتبت مس ماربل بضع كلمات في قصاصة ورق وطوتها ، وناولتها إلى المحامي ؟

فبسط باتريك الورقة وقرأ ما كتب فيها وتطلع إلى مس ماربل بنظرات تجلى فيها الاعجاب ..

ثم قال لها :

– عجباً لك يا صديقتي العزيزة .. هل هناك شيء يمكن أن

يخفى عليك ؟

فأجابت مس ماربل :

– اني عرفت العقدة منذ كنت طفلة صغيرة ، وقد كنت أتسلى بهذه اللعبة شخصياً !

وهنا قال سير هنري مدير بوليس اسكتلانديارد السابق :

– يظهر ان مثل هذه القصة بعيدة عن اختصاصي ، والظاهر أن مستر باتريك يخبىء لنا عقدة قانونيه طريفه !

فقال المحامي :

– عفواً .. عفواً .. انها فكره قديمة لا احابيك فيها ، لا تلقوا بالكم إلى ما تقوله مس ماربل .. فإنها تنظر إلى الأمور بطريقتها الخاصة !

فقال ريموند بشيء من الامتعاض :

– في قدرتنا أن نصل إلى الحقيقة ، ان عناصر الموضوع ظاهرة البساطة ، إن خمسه اشخاص تداولوا هذا المظروف ، فالواضح من بيانات المحامي أن سبراج وزوجته كان بامكانها العبث بالمظروف .

ولكن الواضح كذلك أنهما لم يفعلا هذا لأنه لا مصلحة لهما في العبث بالوصيه التي غيرت لمصلحتهما ..

ويبقى بعد ذلك ثلاثة أشخاص هم : ماري ، وأخوها جورج ، والوصيفة إيما جونت ..

واذا نظرنا الى المسألة من زاوية خفة اليد ، وما يفعله الحواة أمام نظر الناس ، فمن السهل على جورج ان ينتزع الورقـة من المظروف ، ويستبدلها بأخرى ، في الفترة التى حمل فيها المعطف الى اقصي ركن في الغرفة ؟

وقالت جويس :

– أما أنا ، فأظن ان ماري هي التي فعلت هذا في تقـديري ، ان الوصيفة أسرعت اليها وأخبرتها بما يدور ، وأخذت منها مظروفاً آخر ، واستبدلته بالمظروف الأصلي ؟

أما سير هنري فقد هز رأسه قائلا :

– انني اختلف معكما في الرأي ، ان الهواة يفعلون ما أشار اليـــه ريموند على المسرح وفي الروايات فقط .

أما في الحياة الواقعية فإن شيئاً مثل هذا مستحيل ، خصوصاً تحت نظر شخصيه حريصه مثل صديقنا الأستاذ باتريك المحامي الفطن ، وعندي فكرة ، وهي مجرد فكرة لا اكثر ..

نحن نعرف ان المحامي استدعى البروفسور لونجمان ، ولم يفصح عن وجهة نظره بصراحه .

ومن المعقول ان تؤدي هذه الزيارة الى اثارة قلق ومخـــاوف مسز سبراج وزوجها ، خصوصاً اذا كان سيمون كلود لم يكاشفها بأمرها ، مما جعلهما ينظران الى الموضوع من زاوية أخرى !

فربما كانا يظنان ان سيمون كلود اعد من قبل وصية تفيد منها بورادیس سبراج وان هذه الوصية الجديدة قد تؤدي الى حرمانها من كل شيء نتيجة لما قاله البروفسور لونجمان للعجوز ، أو نتيجة لتأثير فيليب جارود عليه ، باعتبار ابناء اخيه اقرب الناس اليه رحماً ؟

وفي هذه الحالة تحاول مسز سبراج استبدال الوصيه ، واثناء هـذه المحاولة فاجأها المحامي بعودته الى الغرفه ، فلم يتح لهـا وقت لقراءة الوصيه الحقيقيه .. وأسرعت بحرقهـــا ، قبل ان يكتشف المحامي ضياعها ..

ولكن جويس هزت رأسها بهدوء قائلة :

– انها ما كانت لتحرقها أبداً قبل قراءتها ..

فقال سير هنري :

ـ اني معك في ان نظريتي ضعيفه فعلا ، مـــا رأيك انت يا دكتور بندار ؟

فراح القس العجوز يقول :

ـ ليس عندي أفكار واضحه في هذا الشأن ، وان كنت اظن ان استبدال الوصيه قد تم بمعرفه مسز سبراج او زوجها للسبب الذي اشار اليه السير هنري ..

واذا كانت لم تقرأ الوصيه الا بعد انصراف مستر باتريك ، فقـد وجدت نفسها في ورطة ، إذ ما كانت لتستطيع أن تعترف بفعلتها .. وربما عمدت عندئذ إلى وضع الوصية بين أوراق مستر سيمون كلود لكي يعثر عليها بين أوراقه بعد وفاته !

أمـا كيف لم يوجد للوصية أثر فهذا ما لا أعرف له جوابـاً .. ولا يبعد أن للوصيفة إيما جونت عثرت على الوصية مصادفة ، وعمـدت إلى حرقها شفقه على أبناء شقيق العجوز ؟

فقالت جويس :

ـ أظن إن نظريه دكتور بندار هي أقرب الحلول لهذه القضية !

ولكن المحامي هز رأسه قائلا :

ـ سأتابع القصة عند النقطه التي توقفت فيهـــا ..

لقد وجدت نفسي في حالة ذهول وحيرة مثلكم . وأظن أني ما كنت لأستطيع الوصول إلى الحقيقه لولا مناسبة كان لهـــا الفضل في استنارتي !

فقد ذهبت بعد نحو شهر من ذلك لتناول العشاء عند فيليب جارود زوج بنت الأخ .

وفي سياق الحديث الذي دار أثناء الطعام ذكر لي قصة طريفـة

وصلت إلى علمه منذ وقت قصير ..

إذ قال لي :

– أحب يا باتريك ، أن أختصك بهذه القصة ، لتبقى بيننـــا بالطبـــع !

ولما طمأنته قال لي :

– لي صديق كان يتوقع ميراثاً طيباً من أحد أقاربه ، ثم أحزنه ان يعلم ان هذا القريب ينوي تغيير وصيته لصالح شخص لا يستحقها بحـــال ؟

وأنا اعرف صديقي هذا أنه لا يدقق كثيراً فيما يدقق فيه الناس ، وكانت في المنزل وصيفة متفانية في رعاية مصالح الطرف الشرعي إذا جاز هذا التعبير ؟

فما كان من صديقي إلا ان زودها بتعليمات مبسطه جداً وأعطـاها قلماً مملوءاً ؟

وكان عليها أن تضع هذا القلم في درج مكتب سيدهـا ، ولكن غير الدرج المعتاد حفظ القلم فيه ..

فإذا طلب سيدها منها أن تشهد على توقيعه على أية وثيقة وكلفهـا باحضار قلمه ، فعليها أن لا تحضر له القلم الحقيقي .

ولكن القلم الآخر المستحضر خصيصاً ، والذي كان مطابقاً له هذا ما كان عليها أن تفعله ، ولم يزودها فيما عدا ذلك بأية بيانات أخرى . ولما كانت انسانة متفانية ، فإنها نفذت تعليماته باخلاص .

وبعد أن توقف فيليب جارود برهة ..

قال لي باسماً :

– هل رأيت الفكرة ؟ إن القلم المستحضر كان مملوءاً بالحبر الطيار ، وهو محلول من النشاء المذاب في الماء ومضاف اليه نقط اليود ، وهذا الخليط

يكون سائلاً أزرق أسود غامقاً ، ولكن الكتابه به تتلاشى تماماً بعـــد أربعة او خمسة أيام ..

وما أن فرغ المحامي باتريك من كلامه ..

حتى ضحكت مس ماربل قائلة :

– الحبر الطيار ؟ إني أعرفه تماماً .. كثيراً ما لعبت به وأنا طفلة ؟

وأدارت مس ماربل نظرها في وجوه الضيوف ببشاشة ، وهزت أصبعها في وجه باتريك قائلة :

– ورغم ذلك فإن القصة شرك من جانب المحامي لايقاعنا في المصيدة كما قلت ، واظن انني لم أقع في المصيدة ..

الفصل السادس

مصرع الزوج

كان الالحاح شديداً من جانب الضيوف لكي تقص عليهم مس ماربل غوامض تلك القصة التي حدثت لابنه أختها مس ميبل في القرية التي كانت مسقط رأسها ..

ولهذا هزت رأسها امتثالاً قائلة :

– إن هذه القصة حدثت منذ خمسة عشر عاماً ، ولهذا فقد انتهت ملابساتها الآن لحسن الحظ ، ونسيها الناس ، واصبحت الآن في حل من الكلام عنها ..

كانت ميبل ابنة اختي فتاة طيبة لطيفة ، ولم يكن يعيبها سوى نزعاتها الدرامية .

وقد تزوجت وهي في الثانية والعشرين رجلاً يدعى جيوفري دنهام ، كان على النقيض منها في حدة طبعه .

وقيل ان الجنون كان وراثياً في أسرته حتى خفت ألا ينتهي هذا الزواج بخير ..

لكن ميبل ركبت رأسها ، وصممت على الزواج منه ، ولم يستطع

احد ان يفعل شيئاً للحيلولة دون اتمامه ؛ نظراً لما تعلمونه من عنـــاد الشباب ونزواته ..

وانقضت عشر سنوات لم اسمع فيها الا قليلاً عن ميبل ..

وبعد هذه المدة علمت ان مستر جوفري دنهام توفي فجأة تاركاً لها كل ثروته ، إذ لم ينجبا ابناء من هذا الزواج .

ولم تمض إلا ثلاثة اشهر حتى تلقيت من ميبل رسالة هستيرية تتوسل الي فيها ان اذهب اليها ، لأن امورها ساءت الى حد لم تعد تستطيع معه الاحتمال ؟

لم يكن بوسعي أن ارفض هذا النداء المؤثر .. وهكذا سافرت إلى القرية ، فوجدت ميبل في حالة اضطراب عصبي شديد .

وكانت تسكن في قصر ريفي فخم ، وعندها وصيفة ، وطاهية ، وممرضة لخدمة والد زوجها العجوز المريض المحنك العقل .. وصحيح انه كان هادئاً ومهذباً في سلوكه ، لكنه كان هادئاً ومهذباً في سلوكه ، لكنه كان كما قلت سليل اسرة بها لوثة جنون وراثي ..

وقد بذلت جهداً جهيداً لمعرفه اسباب اضطرابها حتى علمت منها ان جيرانها اصبحوا يقاطعونها وينفرون من مقابلتها ورؤيتها ، الى حد باتت تفكر معه في بيع القصر والانتقال الى مكان آخر ..

واختتمت ميبل قائلة :

— لكن لماذا أطرد من القصر والقرية على هذه الصورة ؟ انني لم افعل شيئاً استحق بسببه هذه القطيعة الشنيعه !

فقلت لها :

— انك تثيرين شديد دهشتي ، يا عزيزتي ميبل .. لكن مـــا سبب كل هذا ؟

فأجابت ميبل :

– السبب هو تلك الشائعات الظالمة التي يشيعونها عني ! فهم يظنون انني دسست السم لزوجي ؟

كنت موقنة تماماً ان ميبل اعجز الناس عن دس السم لأي انسان ؟ ولكنني قلت لها :

– لا دخان بلا نار ، كما يقولون يا عزيزتي ميبل ، ولذلك ارجو ان تشرحي لي ما الذي حدا بهم الى مثل هذه الظنون القاسية ؟

فأجابت ميبل بكلام متقطع انه لا سبب لهذا سوى موت زوجها جوفري دنهام ميتة مفاجئة ؟

كان في حالة طبيعية وقت العشاء في تلك الليلة ، وقد اصيب بنوبة مرضية حادة اثناء الليل ..

وقد دعي الطبيب لاسعافه ، ولكن المسكين لفظ انفاسه بعد دقائق من وصول الطبيب ، وقد ساد الظن بأن وفاته كانت نتيجة اكل عش غراب مسموم ؟

قلت لها :

– اظن ان ميتة فجائية مثل هذه يمكن ان تطلق الألسنة ، لكن من المؤكد ان هناك اسباباً اخرى لعلها ساعدت على اطلاق الشائعات ، هل حدثت مشادة بينك وبين زوجك وقتها ؟

فأجابت ميبل :

– اعترف اننا تشاجرنا في صباح ذلك اليوم المشؤوم على مائدة الافطار ؟

فسألت مس ماربل :

– وقد سمع الخدم ذلك الشجار فيما اظن ؟

– لم يكونوا وقتهـا في الغرفة ، لكن لا يبعد انهم كانوا قريبين منها ..

- وماذا كان سبب الشجار ؟

فردت ميبل :

- لم يزد عن كونه شجاراً عادياً مما يقع مثله دائماً .. لكن كلا منا لم يطق الآخر وقتها ، حتى تبادلنا السباب والشتائم ..

فسألت مس ماربل :

- وهل هذا كل شيء ؟ أم ثمة اشياء اخرى ؟

فأجابت ميبل ممتعضة :

- ماذا تقصدين بهذا السؤال يا خالتي ؟

- اقصد ما قلت .. اذا كنت فعلت حماقة من اي نوع ، فلا تخفي شيئاً عني ، اني اريد مساعدتك بكل طاقتي ؟

فأجابت ميبل بيأس بالغ :

- لا شيء ، ولا احد يمكن ان يساعدني ، سوى الموت !

فقلت لها مواسية :

- ضعي ثقتك في العناية الالهية يا عزيزتي ميبل ، انني اعرف تماماً ان هناك شيئاً آخر تحاولين اخفاءه عني ..

وما زلت بها حتى اعترفت لي في النهاية ..

قالت :

- انها قصدت في صباح ذلك اليوم الى الصيدلية ، واشترت مقداراً من الزرنيخ ، وطبعاً فإنها وقعت في سجل الصيدلية على شراء المادة السامة وكان من الطبيعي ان يتكلم الصيدلي ؟

- ومن هو طبيب الأسرة ؟

فردت ميبل :

- الدكتور رولنسون ؟

لم اكن اعرف هذا الطبيب إلا سماعاً ..

ولما قصدت اليه بعد قليل وجدته رجلا مسناً ضعيف البصر والسمع ، وقد فهمت منه أن المتوفى كان قد فقـد النطق عند وصوله اليه ، وكان عاجزاً عن ابتلاع أي دواء ، ولفظ أنفاسه بعد دقائق ..

وبدا لي أن الطبيب كان مطمئناً تمام الاطمئنان إلى شهادة الوفـاة التي حررها !

لكنني لم استطع أن أعرف منه إن كان مؤمناً بها ، أو ان اطمئنانه كان وليد العناد والتمسك بالرأي ..

وعلى أثر عودتي من زيارة الطبيب واجهت ميبل بصراحة ، وسألتها عن سبب شرائها للزرنيخ ؟

فانخرطت في البكاء على الفور قائلة :

– كنت أريد أن اضع حداً لحياتي ، كنت في أشد حالات التعاسة ، وبدا لي أن الأفضل هو أن أموت واستريح ؟

فسألتها مس ماربل :

– هل لا يزال عندك هذا الزرنيخ ؟

– لا .. فإنني تخلصت منه ؟

وجعلت أفكر برهة ..

ثم قلت لها :

– وماذا حدث عندما أصيب زوجـك بتلك النوبة ؟ هل ارسل يستدعيك إلى جانبه ؟

فهزت رأسها قائلة :

– كلا .. إنه ضرب الجرس بعنف ، والظاهر إنه فعـل هذا أكثر من مرة .. وأخيراً سمعته دوروثي الوصيفة ، فأيقظت الطاهية ، وذهبنا اليه ، وعندما رأته دوروثي فزعت منه فقد كان محمومـــاً .. وكان يهذي بشدة !

فتركت الطاهية الغرفة وأسرعت تبلغني ، فقمت من فراشي وذهبت اليه ، وقد رأيت في الحال خطورة حالته .

ومن سوء الحظ أن الممرضة الخـاصة مس بروستر التي ترعى الأب الأب العجوز كانت في راحتها الأسبوعية تلك الليلة .

وهكذا لم يكن هناك من يعرف كيف يكون التصرف في مثـل هذا الموقف ..

لكنني ارسلت الوصيفة لاستدعاء الطبيب ، وبقيت أنا والطـــاهية إلى جانبه .

لكن حالته كانت من البشاعة بحيث لم احتمل البقاء ، فأسرعت عائدة إلى غرفتي الخاصة وأغلقت الباب على نفسي !

فقالت مس ماربل :

– كانت هذه أنانية شنيعة من جانبك يا ميبل ، لا شك إن الطاهية نقلت هذه الحكاية للناس ، وكان هذا من العوامل التي ساعدت على تسوىء موقفك أكثر وأكثر ..

ومهما يكن فإنني تركت ميبل وانتقلت إلى استجواب الخدم عن حالة مخدومهم تلك الليلة ..

فأجمعت الوصيفة والطاهية على أنه كان يعاني آلاماً مبرحة ، وأنـه كان عاجزاً عن الابتلاع ، ولم يكن يستطيع الكلام إلا بصوت مختنق ، وكانت كلماته أقرب إلى الحشرجة ولا يفهم منها شيء ..

– وماذا كان يقول في هذه الحشرجة ؟

– كلام مبهم عن السمك ، كوم من السمك .. كلام أقرب إلى الهذيان بالطبع ، وبدا لنا وقتها انه فقد صوابه .

كان هذا هو كل ما استطعت استخلاصه من الطاهية والوصيفة ..

وأخيراً اجتمعت بالممرضة الخاصة مس بروستر وسألتها عن معلوماتها ،

فقالت ·

- من سوء الحظ اني لم اكن موجودة في تلك الليلة ، يبدو أن الجميع عجزوا عن عمل اي شيء لاسعافه قبل حضور الطبيب ..

فقلت اجس نبضها :

- أظن انه كان محموماً ، لكن ليس هذا عرضاً من أعراض التسمم الغذائي ، اليس كذلك ؟

فأجابت الممرضة :

- هذه مسألة تقديرية .

ولما سألتها عن حالة مريضها العجوز والد المتوفى .

هزت رأسها قائلة :

- انه في صحة جيدة من الناحية البدنية ، ولكن حالته العقلية تتدهور بسرعة ، وسبق لي ان اشرت على مستر ومسز دنهام بنقله إلى مصحة عقلية ، ولكن مسز دنهام رفضت هذا رفضاً باتاً ..

لم استغرب موقف ميبل من هذه الناحية ، فقد كنت أعرف طيبة قلبها ورقة مشاعرها إلى أبعد الحدود !

لم يكن امامي بعد ذلك سوى الالتجاء إلى الحل الوحيد لوضع حد للشائعات التي تحاصر ميبل المسكينة ..

فطلبنا التصريح باستخراج جثة زوجها وتشريحها رسمياً ، وقد تم هذا فعلاً ..

لكن النتيجة لم تكن مرضيه بالقدر الذي كنت ارجوه ..

كانت خلاصة التقرير الطبي بهذا النص :

« ليس هناك شيء يبين بأية كيفية كانت ميتة المتوفى » .

وهكذا شعرت بأنني عاجزة أو أكاد عن الوصول إلى الحقيقة وكشف القناع عن مصرع الزوج ..

إلى أن هدتني التجربة إلى حيلة كنت الجأ اليها دائماً كلما ضاقت بي السبل ..

وقد تضحكون انتم يا شباب هذا الجيل عندما أقول لكم مثـــل هذا الكلام !

فإنني كنت الجأ إلى ترتيل صلاة قصيرة في مثل هذه الظروف ، واجدني دوماً اوفق بعدها إلى الرأي السديد ..

ويومها تمتمت بصلاتي وانا سائرة في الشارع الرئيسي في القرية مستغرقة في التفكير ، وقد اغمضت عيني .. ومــا ان فتحتهما حتى الفيت نفسي امام دكان بائع السمك ، وليس في واجهته سوى سمكة واحدة من نوع الحدوق ..

والآن . يا اصدقائي ماذا تظنون قد طرأ على ذهني عنــد رؤيتي السمك ؟

لقد تذكرت في الحال ما ذكرته الطاهية والوصيفة عن الكلمات التي تفوه بها المتوفى عن السمك ..

واقتنعت اقتناعاً جازماً بأن ثمة نوعاً من الحل لهذا اللغز الغامض المحير في كلمات المتوفى ..

ولذلك عدت إلى القصر ، وقد عقدت العزم على التوصل إلى الحل المنشود .

واجتمعت بكل من الطاهية والوصيفة على انفراد ..

فسألت الطاهية : إن كانت متأكدة أن مخدومها قال فعلاً كلاماً عن (كوم السمك) ..

فأجابت بأنها متأكدة كل التأكد ..

فسألتها :

– هل كانت هذه كلماته بالنص ، او انه ذكر نوعــاً معيناً من

السمك ؟

فأجابت الطاهية :

- الحقيقة انه ذكر نوعاً معينـــاً من السمك ، لكنني لا اتذكره الآن .. كوم من .. يا ليتني أتذكر ، لم يكن نوعاً من السمك المعتاد وجوده على المائدة ؟

فسألتها مس ماربل .

- أنا معك في هذا ، فإن زميلتك قالت ايضاً ان سيدها ذكر (نوعاً من السمك المتوحش) .

فردت الطاهية :

- آه .. تذكرت الآن .. كان اسم السمك غريباً فعلا ، كان صعب النطق ، وكل ما اتذكره انه كان يبدأ بحرف الباء ..

* * *

تركت الخادمتين وقمت بمحاولة اخيرة لاستكمال نظريتي !

ومن حسن الحظ أن منزلنا الريفي في القرية كان به مجلد كبير عن الطب ، وعن العقاقير المختلفة في المكتبة التي تركتها والدتي !

وكانت نظريتي التي يحق لي أن ازهو بها هي أن جيوفري دنهام لم يكن يتكلم عن كومة من السمك ، وإنما كان يتكلم عن ترياق للتسمم ويحاول النطق باسمه ؟

وبعد البحث طويلاً في المجلد الطبي توقفت عند كلمة (بيلوكاربين) ، انها كلمة صعبة النطق .. ولا شك أن رنينها يبدو غريبـــاً في سمع طاهية محدودة المعرفة !

ولكنها تقع في الأذن وقع عبـــارة : (بابل لف كارب) .
أي كومة من سمك كارب ، وهي العبارة التي قالت الطاهية أن سيدها كان يرددها !

وقرأت في المجلد كل ما جاء عن مادة (بيلوكاربين) ، وتأثيرها على العينين ، وغير ذلك من المعلومات التي لا تتصل بالقضية ، إلى أن وصلت أخيراً إلى العبارة الحاسمة التي تقول :

(وقد جرب الأطباء بنجـــاح عقار بيلوكاربين كترياق ضد التسمم بالاتروبين) .

والواقع انني لم اكد اقرأ هذه العبارة حتى سطعت الحقيقة في ذهني كالشهاب البارق ..

انني لم أفكر قط أن مثل جيوفري دنهـــام يمكن أن يفكر في الانتحار .. إن كل الظروف كانت تشير إلى عكس هذا تماماً ، ولذلك قررت أن أقوم بآخر محاولة للتثبت من صحة نظريتي .

انني لا أعرف شيئاً في الطب والعقاقير بالطبع .

ولكن الذي أعرفه أنني عندما شعرت مرة بضعف في بصري وصف لي الطبيب قطرة بها (سلفات الأتروبين) !

ولهذا صعدت من فوري إلى غرفة مستر دنهـام العجوز ، وقلت له بغير لف ولا دوران :

– مستر دنهام ، اني عرفت كل شيء . لماذا سممت ابنك !

راح العجوز يحدق فيّ طويلاً وما لبث أن انفجر ضاحكاً ..

كانت ضحكة جنونية شريرة من أسوأ ما سمعت في حياتي ، حتى شعرت بقشعريرة تسري في جسدي .

وأخيراً راح يقول :

– نعم . إنني صفيت حسابي مع جوفري . إنـــه كان ينوي

ابعادي من هنا ، كان يريد ارسالي إلى المصحة ، لقد سمعتهما يتكلمان في هذه المسألة ، ولكن ميبل فتاة طيبة ، وقد وقفت في صفي .. لكني كنت أعرف أنها لن تستطيع مقاومة جوفري ، وانه سوف ينفذ فرضه في النهاية .

أنهيت حياة ولدي ، الطبيب ، الحنون .

ها ها .. اني تسللت إلى غرفته في الليل .. كانت المسألة غاية في السهولة ، فقد كانت الممرضة بروستر غائبة ، وكان ولدي الحبيب نائماً ، وكان من عادته أن يضع كوب ماء بجانب فراشه ، إذ كان يستيقظ في منتصف الليل ويشرب الكوب !

ولكنني أفرغت الكوب ، ها ها . ثم أفرغت زجاجة القطرة في الكوب محل الماء ..

كنت واثقاً أنه سوف يستيقظ ويشرب الكوب قبل أن يعرف ما فيه .. وهذا ما فعله بالضبط .

ثم حضروا عندي في الصباح وأخبروني بما حدث مترفقين ، كانوا خائفين أن يفجعني النبأ . ها ها . ها ها ؟

فقالت مس ماربل لضيوفها :

– لا بأس .. هذه هي نهاية القصة ، وبالطبع فإن الأب العجوز المنكود أدخل مستشفى الأمراض العقلية .

والواقع أنه بهذه الصفة لا يعتبر مسؤولاً عما فعله ، ولما عرفت الحقيقة شعر الناس بالعطف على ميبل المسكينة والرثاء لها ، وأخذوا يفعلون كل ما في وسعهم لتعويضها عن الشكوك والظنون الظالمة التي صدرت منهم في حقها .

ولكن لولا أن جوفري عرف المادة التي ابتلعها ، واخذ يحاول ان يذكر لكل من رآه أن يحضر الترياق ، وهو مادة (بيلوكاربين) دون

ابطاء – لما عرفت الحقيقة ، ولما استطعت ان أكشف النقاب عن سر موته المفاجىء ؟

وأعتقد ان هناك أعراضاً محددة للأتروبين ، وهي اتساع حدقتي العينين ، إلى غير ذلك !

الدكتور رولنسون الذي حرر شهادة الوفـــاة كان مصاباً بضعف الابصار ، كما قدمت ، وهكذا فاته أن يسجل هذه الأعراض التي كان يمكن ان تغير مجرى القضية وقتها ..

ولكن هكذا شاء القدر !

افصل السابع

الزهرة الزرقاء

نزل سير هنري كيترنج مدير بوليس اسكتلانديارد السابق ضيفاً على صديقه الكولونيل آرثر بانتري وزوجته ..

وتكريماً له اقامت الأسرة مأدبة عشاء دعي اليهـا أصدقاء الأسرة المقربون ، وكانت بينهم مس ماربل التي رشحها سير هنري لتكون في عداد المدعوين !

والواقع إن مسز بانتري رحبت بوجود هذه الضيفة على مائدة العشاء إذ قالت لمدير البوليس السابق :

وأظن انه يمكننا أن نعرض عليها حكاية ارثر عن العفاريت بعـد العشاء ، وسيكون من دواعي امتناني ان تجد لنا مس ماربل حلاً لهذه القضية الغريبة ؟

فقال سير هنري :

– لم أكن أعرف ان ارثر يؤمن بالعفاريت !

– انه لا يؤمن بها فعلاً ، وهذا ما يثير شديد قلقه ، إن القصة حدثت لصديقه جورج بريتشارد ، وقد اقترنت بفاجعة اليمة ، وعلى كل

حال فسوف تعرف التفاصيل حول مائدة العشاء .

وجلس الضيوف حول المائدة يستمعون بعد العشاء إلى الكولونيل آرثر بانتري المورد الوجه وهو يقص عليهم القصة بنـــاء على طلب زوجته ، فراح يقول :

– لا أظن أن بينكم من يعرف جورج بريتشارد ، انه شخصية طيبة فاضلة ، وزوجته – لا بأس ان المسكينة توفيت .

يكفي أن أقول انها لم تهيء لجورج شيئاً من الراحة عندما كانت على قيد الحياة ، فقد كانت (المريضة الخالدة) كما يقولون

وكانت إلى جانب ذلك كثيرة النزوات ، متسلطة ، غير معقولة ، وكانت تشتكي من كل شيء من الصباح إلى المساء ، وكان المفروض أن يظل جورج عبداً لها ، يمتثل لأوامرها ونواهيها . ولو كان زوج غـــير جورج لقطع رأسها ببلطة منذ زمن بعيـــد اليس كذلك يا عزيزتي دوللي ؟

فأجابت زوجته بلهجة حادة :

– لقد كانت امرأة شنيعة ، ولو كان جورج قطع رأسها بالبلطة وكانت هناك امرأة بين المحلفين في محاكمته لبرئت ساحته تماماً ..

فاستطرد الكولونيل بانتري قائلاً :

– لست أدري تماماً كيف بدأت القصة ، إنما مسز بريتشارد كانت تؤمن بالمنجمين والعرافين وقارئي البخت .. ولم يمانع جون في هذا ، رغبة منه في مجاراتها حتى يتقي شر شكواها التي لا تنتهي ؟

وكان يتعاقب على المنزل ممرضات عديدات لرعايتها ، ولكنها كانت لا تلبث ان تبدلهن بعد أسابيع معدودة ا

وكانت بينهن ممرضة شابة لها شغف بهذا اللون من التنجيم والعرافة ، وقد تعلقت مسز بريتشارد بها كثيراً .

غير انها لم تلبث ان انقلبت عليها وأصرت على طردها .

ثم استعادت ممرضة اخرى كانت عندها من قبل ، هي مس كوبلنج ، وكانت أكبر سناً ، وذات تجارب في معالجة هذا اللون من النزوات العصبية . .

وقال جورج في وصف مس كوبلنج هذه أنها معقولة وذات كفاءة إذ كانت تعرف كيف توقف نزوات زوجته عند حدها . .

وكانت مسز بريتشارد تتناول طعام الغداء في غرفتها بصفة دائمة ، وقد اتفقت الممرضة مس كوبلنج مع جورج على أن تكون نوبـــة الخدمة بعد الظهر .

وأصبح من حق الممرضة حسب الاتفاق أن تخلو من الخدمة من الساعة الثانية الى الرابعة بعد الظهر ولكنها كانت مجاملة لجورج ، تؤجل انصرافها إلى ما بعد الساعة الخـامسة ، موعد الشاي ، لكي يستمتع بهوايته في لعب الجولف !

وقد حدث ذات يوم أن مس كوبلنج أخبرت جورج بأنها ذاهبة في وقت راحتها لزيارة أخت لها في حي (جولدن جيت) . ولما رأت امتعاضه قالت له .

– إن مسز بريتشارد لن تفتقد غيابنا بعد ظهر اليوم ، ستكون عندها ضيفة تسليها ، هي زاريدا قارئة المستقبل !

فلم يتمالك جورج أن تأوه قائلاً :

– رباه أهذه عرافة جديدة ؟

فقالت مس كوبلنج :

– جديدة تماماً ، أظن أنها من طرف الممرضة كارستر ، التي سبقتني ، إن مسز بريتشارد لم ترها بعد .. وقد طلبت مني أن أكتب اليهـا ، وحددت الموعد بعد ظهر اليوم .

فقال جورج :
– لا بأس على أي حال سأذهب للعب الجولف !

وعند عودة الزوج إلى المنزل وجد مسز بريتشارد في حالة هياج شديد ..
وكانت مستلقية كعادتها على (أريكة المرض) ، وبين يديها زجاجة أملاح النشادر التي اعتادت أن تستنشقها على فترات !

وما كادت مسز بريتشارد تبصر زوجها .. حتى هتفت قائلة :
– ألم أقل من قبل إن هذا المنزل لا يضم لنا خيراً .. إن العرافة اكدت هذا عند دخولها ، إذ قالت على الفور : « هنا شيء ينتظر ، سر وخطر ، إني أشم روائحه » ؟
فرد عليها جورج ضاحكاً :
– لم يكن من الحكمة أن تقول هذا ..

فأغمضت الزوجة عينيها ..
ثم تنشقت الزجاجة طويلاً قائلة :
– لشد ما تكرهني .. انك سوف تصفر وتضحك لو رأيتني أموت .
فاحتج جورج على هذا الكلام ، وجعل يطيب خاطرها .. ولما سألها عما قالته العرافة عن هذا ..

أجابت قائلة :
– لم تقل كثيراً ، ولكنها عندما لمحت بعض أزهار البنفسج في زهرية أمامي هتفت تقول لي :
« أبعدي هذه الأزهار .. لا أزهار زرقاء ، إن الأزهار الزرقاء مصدر هلاك لك ، تذكري هذا .. »
ثم أضافت مسز بريتشارد تقول لزوجها :

– انني أشعر بتشاؤم غريزي منه ..

فلم يكذبها الزوج ولم يناقض كلامها ..

وإنما سألها :

– ما هي اوصاف زاريدا العرافة ..

فراحت تقول بحماس :

– شعرها أسود ملفوف في دوائر فوق الاذنين ، عيناها نصف مغمضتين وحولها دوائر سوداء كبيرة ، وقناع أسود على رقبتها وذقنها ، ولهجتها أجنبية وهي اسبانية فيما أظن .

فقال جورج بلهجة المرح .

– هذه مستلزمات المهنة كالعادة ؟

وفي الحال أغمضت الزوجة عينيها قائلة :

– إن المرض عاودني ، أضرب الجرس للمرضة ، إن سخريتك تهدني وتتلف أعصابي ؟

وبعد يومين جاءت المرضة كوبلنج تخبر جورج ان زوجته في حالة اضطراب شديد بسبب رسالة تلقتها !

وعندما خف إلى جانبها ناولته الرسالة التي كانت معطرة ومكتوبة بخط أسود كبير بالنص التالي :

« إني رأيت مستقبلك .. إحذري قبل أن يفوت الأوان ، احذري القمر بدراً ، إن زهرة الربيع الزرقاء هي النذير ، وزهرة الهوليهوك الزرقاء تعني الخطر ، وزهرة الجاردنيا الزرقاء تعني الموت . » .

وعندما هم الزوج بأن يقهقه ضاحكاً لمح المرضة كوبلنج تومىء اليه محذرة !

فقال لزوجته :

– ربما أرادت المرأة تخويفك يا ماري ، على اي حال لا توجد زهرة

ربيع ولا زهرة جاردنيا زرقاء .

ولكن مسز بريتشارد اخذت تنتحب وتقول :

- إن أيامها أصبحت معدودة ..

وعندما خرجت الممرضة كوبلنج مع جورج ..

قالت له بلهجة الجد :

- إني لا أؤمن بمسألة قراءة المستقبل ، فهذا كلام فارغ ، ولكن أمر هذه العرافة يحيرني .. فقد قالت مسز بريتشارد إن زاريدا بدت لها وكأنها غير غريبة عنها !

وبعد أربعة ايام وقع الحادث الأول .

ولكي أشرح لكم الموقف اقول ان غرفة مسز بريتشارد كانت حوائطها مكسوة بالورق الذي تكثر فيه الأزهار الملونه ، حتى لتبدو الغرفة وكأنها حديقة ، وبينها بالطبع أنواع من زهرة الربيع صفراء وقرمزية .

وقد حدث ذات صباح أن قرعت مسز بريتشارد الجرس بعنف ، وعندما اسرع اليها اهل المنزل جميعاً ، وجدوها في أشد حالات الانفعال وأشارت لهم إلى ورق الحائط ؟

فبين مجموعات زهرة الربيع ..

شاهدوا زهرة « زرقاء » فعلاً .

وكان السؤال هو :

- الم تكن زهرة الربيع « الزرقاء » موجودة في مكانها هكذا طول الوقت ؟

كان هذا هو رأي جورج والممرضة ..

لكن مسز بريتشارد لم تأخذ بهذا الكلام ، بأي حال ، وأكدت إنها لم تلاحظ لون الزهرة « الأزرق » إلا في هذا الصباح .

وكان القمر ليلتها بدراً ..

تولاها الاضطراب والجزع على الفور !

وهنا تدخلت مسز بانتري قائلة :

– إني قابلت جورج بريتشارد في ذلك اليوم فعلا ، وأخبرني بما حدث ، وأذكر إني قابلت ايضاً صديقتنا جين اينستو واخبرتها بذلك ، والغريب إني وجدتها مرتاحة إلى هذه النتيجة ، وقالت إن زوجة تنغص حياة زوجها على تلك الصورة تستحق ان يصيبها الفزع حتى الموت ، وقالت لي كلاماً لا أنساه :

« نعم .. إن جورج المسكين يستحق العطف ، فهو شخصيه جذابه ، وكانت المرضة السابقة تراه كذلك – اعني المرضه الحسناء المـــدعوة كارستيرز .. وكان ذلك هو سبب المشاحنه التي حدثت بينها وبين مسز بريتشارد ، واستغنت عنها على الأثر . »

ولقد استنكرت هذا الحديث بالطبع من جين ..

فقالت مس ماربل بهدوء تعقيباً على ما سمعته :

– لك حق يا عزيزتي .. هل جين اينستو فتاة جميلة ؟ أظنها تلعب الجولف ؟

– نعم .. هي بارعة في كل الألعاب ، وهي جميلة وجـذابة ، وكان من رأينا جميعاً أن الظروف لو اختلفت عما كانت عليه ، لكانت هي وجورج خير من يليقان لبعضهما !

فقالت مس ماربل :

– وهل كانا صديقين ؟

– وإلى أبعد الحدود ؟

فقال الكولونيل بانتري لزوجته بلهجة الشكوى :

– هل يمكن يا دوللي أن تسمحي لي باتمام بقية القصة ؟

فأجابت مسز بانتري مستسلمة :

– إن آرثر يريد أن يعود إلى قصص العفاريت !

واستطرد بانتري يقول :

– في الواقع أن مسز بريتشارد زادت حالتها سوءاً قرب نهـاية الشهر التالي ، فقد جاءت بتقويم ، ووضعت علامة على التاريخ الذي يصير فيه القمر بدراً ، وفي تلك الليلة استدعت إلى غرفتها الممرضة ، ثم جورج ، وطلبت منهما أن يفحصا حالة ورق الحائط جيداً .

كان أمامهم زهور الجـــاردنيا حمراء وقرمزية ، وليس بينها زهور زرقاء . وعندمـــا انصرف جورج من الغرفة ، سارعت باغلاق الباب على نفسها .

فلما كان الصباح ، وجدت بين أزهار الجاردنيا زهرة فوق رأسها تحولت إلى اللون « الأزرق » ..

فذهل جورج ..

ولكنه أبى أن يأخذ المسألة مأخذ الجد ، وقال أنهـا مجرد مزحة ، وتجاهل دليل الباب المغلق !

واكتشاف زوجته لهذا التغيير قبل دخول أحد إلى الغرفـــة حتى الممرضه كوبلنج

ورغم هذا كله لم يستسلم جورج لالحاح زوجته بالانتقال إلى منزل آخر ، مع إنه كان ينزل دائماً على رغباتها ، واعتبر المسألة كلها من قبيل الخزعبلات والأوهـام !

وهكذا تعاقبت أيام الشهر التالي ..

وكفت مسز بريتشارد عن الشكوى ، والاحتجاج ، وكأنها لفرط إيمانها بالخرافات أصبحت مستسلمة لمصيرها ..

ولم تكف عن ترديد كلمات الرسالة التي تلقتها : « زهرة الربيع الزرقاء نذير .. وزهرة الهوليهوك الزرقاء تعني الخطر ، وزهرة الجاردنيا الزرقاء

تمني الموت » !

وأصبحت وهي ممددة فوق أريكتها تطيل النظر إلى أزهار الجاردنيـا القرمزية والحمراء قرب الأريكه !

كانت الحالة مثيرة للأعصاب ، لدرجة أن المرضة سرت اليها العدوى !

فقد ذهبت إلى جورج قبل حـــلول موعد البدر ترجو أن يبعد مسز بريتشارد عن هذا المكان .

ولكنه غضب وصاح في وجهها :

– لو استحالت جميع الأزهار فوق الحائط إلى شياطين « زرقاء » ، فإنها لن تقتل اي انسان !

فردت كوبلنج :

- ربما تقتل هذه المرة ، فإن الصدمه قتلت أناساً قبل الآن ..

– كلام فارغ ..

والحق ان جورج كان عنيداً إلى حد ما ..

ولعله كان يظن في دخيلة نفسه أن زوجتـــه تحدث هذه التغييرات استسلاماً لنزوات هستيرية ..

إلى أن جاءت الليلة المشؤومة ..

فقد أغلقت مسز بريتشارد الباب على نفسها ، وكانت في أتم حـالات الهدوء ، حتى قلقت الممرضة لحالتها ، ولما أرادت أن تعطيها حقنة منشطة رفضت رفضاً تاماً ..

وفي الصباح لم يحدث قرع عنيف للجرس ، وكان من عـــادة مسز بريتشارد ان تستيقظ في الثامنة صباحاً ..

فلما كانت الثامنه والنصف دون أن تصدر إشارة من ناحيتها ، طرقت الممرضة بابها عالياً ..

وعندما لم تجد رداً ، أسرعت إلى جورج وأصرت على فتح الباب بالقوة

فكان ما أرادت .

كانت نظرة واحـــدة من الممرضة كوبلنج إلى الجسم الساكن كافية ، وقد طلبت من جورج استدعاء الطبيب تليفونيـاً ، ولكن سبق السيف العذل ؟

فقد قرر الطبيب ان مسز بريتشارد لا بد أن تكون قد توفيت منـذ ثماني ساعات على الأقل ؟

وكانت زجاجة أملاح النشادر بيدها في الفراش ، وشوهدت إحـدى زهرات الجاردنيا القرمزية على الحائط قرب الفراش، وقد استحالت إلى اللون « الأزرق » ؟ .

عندئذ تدخل سير هنري قائلا وقد قطب وجهه :

ألم توجد تفاصيل أخرى ؟

فهز الكولونيل بانتري رأسه .

ولكن زوجته سارعت تقول :

— والغاز ؟

فقال سير هنري :

— عندما وصل الطبيب كانت هناك رائحة غاز خفيفة ، وفعلا وجـد صنبور الغاز في المدفأة ، وهو مفتوح قليلا ، لكنه كان من القلة بدرجة ليست لها أهمية

— ألم يلاحظ مستر بريتشارد والممرضة رائحة الغاز عندما دخلا الغرفة أول مرة ؟

— قالت الممرضة إنها لاحظت رائحة خفيفة ، وقال جورج أنه لم يلاحظ الغاز ، ولكن شيئاً جعله يشعر بالغرابة والانقباض ، على أنه عزا ذلك إلى صدمة الموقف ، وعلى أي حال لم يثبت حدوث تسمم بالغاز ، فـإن الرائحة كانت ضئيلة ؟

– وهل هذه هي نهاية القصة ؟

– لا .. فقد تناثرت الأقـــاويل بعد ذلك ، إن الخدم مثلا سمعوا مسز بريتشارد وهي تقول لزوجها أنه يكرهها ، وانه سوف يصفر لموتها ، ومن ذلك قولها أيضاً انها ترجو إذا ماتت فعلا أن يعرف الجميع أنه قتلها ، واقترن بهذا سوء حظ غريب .

فقد تصادف أنه كان في اليوم السابق ذاته يخلط مادة مبيدة للزنابير في الحديقة !

وقد شاهده أحد الخدم وهو يفعل ذلك ، ثم شاهده بعد ذلك وهو يحمل كوب لبن ساخن لزوجته ! .

ثم تزايدت الأقاويل وانتشرت ..

وكان الطبيب قد أعطى شهادة بأن الوفاة حـدثت نتيجة صدمه أو هبوط في القلب ، او أي تعبير طبي من هذا القبيل ، ولكن نظراً للظروف التي اقترنت بالوفاة ، فقد رفع التماس باستخراج الجثة من مدفنها لتشريحها ، وتمت الموافقة على الالتماس !

فقال سير هنري برصانة :

وأذكر أن نتيجة التشريح جـاءت سلبية .. وهكذا كانت القضية أقرب إلى دخان بلا نار !

فقالت مسز بانتري :

– إن الحكاية كلها غريبة جداً ، فهناك مثلا قـارئة البخت زاريدا ، فإنهم لم يعثروا على احد بهذا الاسم في العنوان المفترض وجودها فيه !

فقال الكولونيل بانتري :

– إنهـــا ظهرت مرة واحدة كأنما أقبلت من الفضاء ، ثم تبخر كل أثر لها ؟

وأضافت مسز بانتري :

- وأكثر من هذا ، إن الممرضه الشابه كارستيرز ، التي كان المظنون انها هي التي أرصت بزاريدا ، اكدت أنها لم تسمع حتى بوجودها !

وعندئذ قالت مس ماربل بصوتها الرقيق :

- وهل تزوج مستر بريتشارد ومس جين اينستو ؟

فهز الكولونيل بانتري رأسه قائلا :

- إننا .. إننا توقعنا شيئاً من هذا القبيل ، لكن مضت الآن سنة ونصف ولا أعتقد أنهما يتقابلان بأي حال ..

فقالت مس ماربل :

- هذه نقطة هامه . هامه جداً !

فقالت مسز بانتري :

- إذن أنت تظنين مثلما اظن ؟ والحقيقه أن فكرة جامحة خطرت لي ، فربما عمدت جين اينستو إلى التنكر في زي قـــارئه البخت ، لمجرد المزاح طبعـــاً !

وربما كانت مسز بريتشارد من البلاهة بحيث استسلمت للفزع الذي يؤدي إلى الموت ، فربما هذا ما تعنيه مس ماربل .

فهزت مس ماربل رأسها نفياً وقالت :

- كلا يا عزيزتي ، ليس هذا ما أعنيه ، ولكن احب أن الفت نظركم إلى أشياء غابت عن ذهنكم ، اولها : ان مستر بريتشارد كما تصفونه جميـــل جذاب ..

وثانياً : إنه لم يعثر على العرافة في العنوان الذي ذكرته ، في حـــين أن مسز بريتشارد كانت قد ارسلت خطاباً اليها بذلك العنوان ، وان الممرضة هي التي كتبته ..

فسألت مسز بانتري :

- اتعنين الممرضه الحسناء كارستيرز ؟

فردت مس ماربل :
- كلا . كلا ! بل اعني الممرضه الأخرى مس كوبلنج !

وغمغم الجميع في استغراب :
- مس كوبلنج ؟
- نعم .. لقد خدمت مسز بريتشارد من قبل ، فلماذا قبلت العودة ، رغم ادراكها التام بطباع مسز بريتشارد التي لا تطاق ؟
لقد عادت من أجل جورج بريتشارد الذي تجمعون على أنه وسيم جذاب وطيب القلب .

والمعتاد إن مثل هذا الرجل يكون موضع الاعجاب اولاً ، ثم الحب ثانياً ولعل المسكينه ظنت ان الطريق إلى قلبه ممهد بسبب حالة زوجته ، ولم تكن تعرف بطبيعه الحال علاقته بمس جين انستو .

فلما علمت بها بعد فوات الأوان ، بذلت كل ما في وسعها لتثير حول المسكين هذه الزوبعة من الاتهامات والشكوك ، ولكنني اعتقد ان الشيء الوحيد الذي كشف سرها امامي هو الخطاب ..
فسأل الجميع :
- اي خطاب ؟

فقالت مس ماربل :
- الخطاب الذي كتبته إلى العرافة بناء على رغبه مسز بريتشارد ، لقد كتبت هي الخطاب بخط يدها ، وكتبت طبعاً عنوان العرافه على المظروف - وحددت للعرافه - بناء على رغبه مسز بريتشارد أيضاً - الموعد الذي تجيء فيه .

فإذا كان البحث قد اثبت انه لا توجد عرافه بهذا الاسم ، ولم يهتد اليها أحد في العنوان الذي قيل انها مقيمة به .

وإذا ثبت ان مس كارستيرز الممرضه السابقه انكرت تماماً كل معرفه

لها بعرافة تدعى زاريدا ..

أقول إذا ثبت هذا وذاك ، فكيف وصل الخطاب إلى العرافة المزعومة وكيف جاءت في الموعد المحدد ؟

المعقول أن مس كوبلنج تظاهرت بكتابة الخطـاب ، وتنكرت هي في هيئة العرافة المزعومة .

ولعلكم تذكرون ان مسز بريتشارد قالت إن في سمت تلك العرافة شيئاً مألوفاً لديها ، وكانت تلك خطوة جريئة من مس كوبلنج .

لأنه كان هناك احتمال أن تتعرف عليها مسز بريتشارد !

وحتى لو تعرفت عليها فعلا ، لزعمت مس كوبلنج ان الأمر كله دعابة للتسليه ؟

وعندئذ قال سير هنري :

– ولكن هل تريدين أن تقولي أن مس كوبلنج عمدت إلى هذه الحيلة لتملأ قلب مسز بريتشارد بالفزع الذي يؤدي إلى موتها ؟ .

فقالت مس ماربل :

– لا لا .. يا عزيزي .. إن مس كوبلنج ، كممرضة ، لا تستطيع أن تعتمد على شيء واه كهذا ، إن مسألة التحذير والانذار والزهور الزرقاء وما إلى هذا ، لم تكن إلا نوعاً من التمويه أو الخداع الذي يخفي الحقيقة

فقال سير هنري :

– وما هي هذه الحقيقة يا مس ماربل ؟

فقالت مس ماربل :

لعلكم تعرفون جميعاً سم سيانيد البوتاسيوم الذي يستعمله البستانيون في قتل الحشرات الضارة كالزنابير ، لا سيا في أيام الصيف الجميلة .

إن هذا السم يشبه تماماً أملاح النشادر ، ومعنى هذا أنه من الممكن وضعه في زجاجة المسكينة مسز بريتشارد بدلاً من النشادر الحقيقية .

وقد قال الكولونيل إن جورج شاهد زجاجة النشادر ملقاة بجـــانب زوجته الميتة ، ومفتوحة ..

وبطبيعة الحال أمكن لمس كوبلنج -- اثناء انشغال جورج في استدعاء الطبيب تليفونيا أن تسترد الزجاجة الملقاة التي تحتوي على سيانيد البوتاسيوم وأن تضع مكانها زجاجة أخرى شبيهة بها تحتوي على أملاح النوشادر .

وهي عملية بسيطة يمكن ان تقوم بها في سرعة وخفة ، كما يمكنهـــا في الوقت نفسه أن تدير صمام أنبوبة غاز المدفأة قليلا جداً ، حتى تحجب رائحة الغاز أية رائحة اخرى لأملاح سيانيد البوتاسيوم . وقد تكون باقية في الغرفة بعد فتح الباب .

وقد سمعت إن سم السيانيد لا يترك أثراً في الجسم إذا مضت مدة طويلة عليه ، ولكني قد أكون مخطئة ، ولعلها تكون قد وضعت شيئــاً آخر في الزجاجة لا نعرفه .

– ولكن ماذا عن الجاردنيا الزرقاء وما إلى هذا ؟

فأجابت مس ماربل .

– إن لدى الممرضات دائماً ورق عباد الشمس المستعمل في اختبـارات التفاعل الكيميائي ، اليس كذلك ؟

لقد اشتغلت ممرضة في شبابي بضعة اشهر ، ولهذا أعرف ان ورق العباد الأزرق يتحول إلى أحمر بالأحماض .. والأحمر يتحول إلى أزرق بالقلويات .

ومن السهل جداً ان تلصق مس كوبلنج ورقة عباد حمراء على زهرة حمراء في ورق الجدار ، بالقرب من سرير مسز بريتشارد .

وعندما تستعمل هذه المسكينه أملاح النشادر القلوية ، فإن غاز الأمونيا القوي المنساب منها ، يحول - تدريجياً - لون ورق العباد الحمراء الملصقة على الزهرة الحمراء ، إلى اللون الأزرق .

وهي طريقة في الواقع تدل على مكر عجيب وذكاء أعجب

وبطبيعة الحال لم تكن زهرة الجاردنيا زرقاءعندما دخل جورج والممرضة الغرفه صباحاً بعد كسر الباب .

إن احداً لم يكن في حالة يلاحظ معها زهور ورق الجدران ، وإنما كان الانتباه مركزاً على المتوفاة .

ولكن الملاحظة جاءت فيما بعد ..

اي بعد ان استبدلت مس كوبلنج بزجاجة السم زجـــاجه املاح النوشادر

وأعتقد انها فتحتها برهه بجانب زهرة الجاردنيا فوق السرير ، الملتصقـه عليها ورقه عباد حمراء ؟

وعندئذ قال سير هنري :

– إنك يا مس ماربل توضحين الغموض كما لو كنت هناك ، في مسرح الحادث ..

فهزت مس ماربل رأسها وقالت :

– إن الذي يقلقني الآن هو موقف المسكين جورج ، وصديقته جـين انستو ..

فمن المحتمل ان كلاً منهما يرتاب في ان الآخر عمل على قتل مسز بريتشارد ولهذا يحاول ان يتجنبه ، والحيـــاة اقصر من ان تضيع سدى بسبب هذه الشكوك والوساوس .

وابتسم سير هنري قائلا :

– لا داعي للقلق ، فإني احتفظ لك بمفاجأة في هذا الشأن ..

لقد القي القبض اخيراً على ممرضه متهمة بقتل مريضة عجوز اوصت لها بمبلغ كبير من تركتها .

وكانت وسيلة القتل ، هي وضع سيانيد البوتاسيوم ، بدلاً من أملاح روح النشادر ، التي كانت تستعملها المريضة العجوز .

إن الممرضة هي مس كوبلنج نفسها ، وقد كررت نفس الطريقة في ارتكاب الجريمة الثانية ..

ومن يدري كم من الجرائم ارتكبت من قبل أن تقع بين يدي العدالة ، ولا شك ان مستر بريتشارد ، حين يعرف هذه الحقيقة ، لن يتردد في إعادة العلاقة الطيبة مع حين انستو ..

فقالت مسز بانتري :

– إن العلاقة هذه المرة ستكون علاقة زواج بطبيعة الحال ؟

الفصل الثامن

الحب القاتـــل ..

الح الضيوف على مسز بانتري ان تكون هي صاحبة القصة الغامضة هذه الليلة لكي يتنافسوا في حل غوامضها ..

وبعد تردد وتمنع راحت تقول مستسلمة :

ــ كنا وقتها ضيوفاً على سير امبروز بيرسي المقيم في كوبنهام كورت ، وذات يوم حدث أن اقتطع بعضهم من حديقة المنزل بطريق الخطأ كمية من نبات قفاز الثعلب السام مع أعواد الكزبرة ، وحشيت بها البطة التي قدمت للعشاء ، فأصيب الجميع بنوبة شديدة ، توفيت بسببها فتاة مسكينة هي ربيبة سير أمبروز .

وعندما توقفت مسز بانتري ، قال سير هنري مدير بوليس اسكتلنديارد السابق :

ــ حسناً . وماذا حدث بعد ذلك ؟

ــ هذه هي كل القصة ..

فقال سير هنري معاتباً :

ــ لا يمكن أن تكون هذه كل القصة يا عزيزتي . وإذا كنت بهـــذا

تريدين إثارة فضولنا ، فإنني أقبل التحدي ، واقترح ان نقوم نحن بتوجيه الأسئلة ، ما رأيك في أن تبدئي يا مس ماربل ..

فقالت مس ماربل :

– اود أن اعرف شيئاً عن الطاهية ، لا بد أن تكون مخلوقة غبية جداً أو عديمة الخبرة بالمرة ؟

فأجابت مسز بانتري :

– إنها كانت مثال الغباء فعلاً ، وقد بكت كثيراً بعد الفاجعة ، وقالت ان اوراق النبات قد اقتطفت من الحديقة وقدمت اليها باعتبارها حشو للبط ، وما كان لها أن تعرف غير ذلك ..

فقالت مس ماربل :

– إنها ليست إذن من النوع الذي يفكر بنفسه ؟

وجاء دور الفنانة الحسناء جين هيلر في توجيه الأسئلة ..

فقالت :

– هل يمكن أن نعرف أبطال الحادث حسب الظهور على المسرح ، كما نقول نحن أهل الفن ؟

فراحت مسز بانتري تعدهم على أصابعها قائلة :

– هم سير امبروز بيرسي المضيف ، سيلفاكين ربيبته التي توفيت في الحادث . ومودواي ، وهي فتاة سمراء كريهة من نوع الفنيات اللاتي يحاولن فرض أنفسهن على المجتمعات ..

ومستر كورن خبير الكتب والمخطوطات القديمة الذي جاء للمناقشة مع سير أمبروز في هذه المسائل ، وجيري لوير جار سير أمبروز ، ومسز كاربنتر المتصابية ..

فقال سير هنري :

– نريد بعد هذا صورة لكل واحد من هؤلاء ، تكلمي اولاً عن

سير امبروز ؟

فقالت مسز بانتري :

– كان يناهز الستين من عمره ذا شخصيه مرحه جذابة ، ولكنه كان معتل الصحة ، إذ كان مصاباً بضعف في القلب اضطره لتركيب مصعد في المنزل ، وجعله يبدو أكبر من سنه !

فقال سير هنري :

– والآن تكلمي عن الفتاة سيلفيا كين ..

– كانت فتاة جميلة وافرة الحسن ، شقراء الشعر ، ناعمة البشرة ، ولكنها كانت أقرب إلى الغباء منها إلى الفطنة !

– ومسز كاربنتر المتصابية ؟

– كانت ارملة في اوائل الخمسين ، مغرمة بمصاحبة الطبقة الارستقراطية ولكنها كانت خاوية الوفاض !

– ومستر كورن ؟

– كان رجلاً مسناً متحمساً إلى درجة الجنون فيما يختص بالمخطوطات والكتب القديمه ، خصوصاً اللاتينية .. ولا أظن أن معرفه سير أمبروز به كانت حميمة !

– وجيري لوريمر الجار ؟

– كان شاباً موفور الجاذبيه . وكان خطيب سيلفيا ، وهذا ما جعل للمأساة طابعها المحزن الأليم

فقال سير هنري :

– وهل كانت خطبتها منذ مدة ..

– منذ سنة تقريباً وقد عارض سير أمبروز الخطوبة على أساس أن سيلفيا صغيرة السن ، ولكن بعد فوات السنة مال إلى الموافقه ، وكان مقرراً عقد الزواج بعد فترة قصيرة .

- وهل كان للخطيبة أية ثروة ؟

– لم تكن تملك أكثر من إيراد يبلغ حوالي مائتي جنيه في السنة ..

وعندئذ قال سير هنري :

– الدور الآن على الدكتور لويد في توجيه الأسئلة ..

فقال الطبيب العجوز وكان بين المدعوين :

– إن اهتمامي يتركز في الناحية الطبية ، أود ان أعرف التقرير الطبي الذي صدر أثناء التحقيق ..

فأجابت مسز بانتري :

– كل ما أتذكر أن الوفاة حدثت بسم الديجيتالا ..

فأومأ الدكتور لويد قائلا :

– إن العنصر الفعال في نبات (قفاز الثعلب) - وهو الديجيتاليس – يؤثر على القلب .. والواقع أنه عقار مفيد جداً في بعض حالات اضطرابات القلب .. وهذه قضية غريبة جداً في الواقع ، وما كنت أعتقد أن تناول أوراق نبات (قفاز الثعلب) يمكن أن تنتج عنه إصابة مميتة ..

إن الأفكار السائدة عن أكل أوراق وثمار نباتات سامة هي أفكار مبالغ فيها ، إنها قد تؤدي فقط إلى ظهور أعراض التسمم ، ولكنها لا تؤدي إلى الوفاة !

فقال السير هنري :

– لنبدأ الآن تحقيق هذه الجريمة ..

فانتفضت جين هيلر الممثلة الحسناء قائلة :

– جريمة ؟ لقد ظننته مجرد حادث عارض ..

فأجاب سير هنري :

– لو أنها كانت مجرد حادث لما تكلف مسز بانتري عناء سرد القصة ، في رأيي أنها حادث في الظاهر فقط ، ولكن يكمن وراء الحـــادث عنصر

جريمة .. واعتقادي ان أوراق نبات الديجيتالين أو (قفاز الثعلب) هذه قد خلطت بنبات (الكزبرة) عمداً ، وبعد معرفة ماذا ستكون نتيجتهـا ، وما دمنا نستبعد الطاهية المعروفة بغبائها ، فإن السؤال هو : من الذي قطف تلك الأوراق وقدمها إلى المطبخ ؟

فأجابت مسز بانتري :

– إن سيلفيا نفسها هي التي حملت الأوراق إلى المطبخ ، فقـد كان من عملها اليومي ان تجمع السلطات وما يماثلها من الحديقة ، وكانت تشترك معها في ذلك مسز كارنبتر بحكم ضيافتها المستمرة في المنزل ، فقد كانت بمثـابة مرافقة لسيلفيا ، وكان في الحديقة رُكن خاص لنبات (قفاز الثعلب) ونبات الكزبرة ، وهكذا فإن الخطأ كان مسألة طبيعية ..

– ولكن هل اقتطفت سيلفيا ذاتها الأوراق ؟

– هذا ما لم يعرفه أحد ، وإن كان هو المفروض .

فقال سير هنري :

– إن الافتراض شيء خطر .

فقالت مسز بانتري :

– لكنني أؤكد أن مسز كاربنـتر لم تكن هي التي اقتطفت أوراق النبات ، فقد تصادف أن كانت تتمشى معي في الشرفة صباح ذلك اليوم ، بعد أن فرغنا من تناول طعام الافطار ، وقد نزلت سيلفيـا إلى الحديقة وحدهـــا ، ولكنني رأيتها فيما بعد تسير مع مود واي وقد تأبطت ذراعهـــا !

فقالت مس ماربل :

– إذن فقد كانت الاثنتان صديقتين حميمتين .

وعادت مس ماربل تقول :

– وهل كانت مود واي ضيفة على المنزل منذ مدة ؟

فأجابت مسز بانتري :

– منذ أسبوعين سابقين ؟

فقالت مس ماربل مرة أخرى :

– يبدو من لهجتك أن هناك شيئاً بشأن الفتاتين تحاولين كتمانه ، اليس كذلك يا سير هنري ؟

فقال مدير بوليس اسكتلنديارد السابق مؤمناً على كلامها .

– صدقت يا مس ماربل ، والواجب أن تقولي يا مسز بانتري كل مـــا تعرفينه دون أن تتحرجي من شيء ..

فراحت مسز بانتري تقول :

– حسناً .. كانت المسألة هكذا ، حدث في مساء نفس الليلة التي وقعت فيها الفاجعة ، إنني خرجت أتمشى في الشرفة ، وكات نافذة غرفة الجلوس مفتوحة ، وحانت مني التفاتة إلى الداخل ، فوقع نظري على جيري لورير يقبل مودواي ، ولم أعرف وقتها بالطبع إن كان هذا شيئاً عارضاً ، أو كان شيئاً آخر ، إن الأنسان لا يستطيع الجزم في هذه الأمور ، ولكنني كنت أعرف أن السير أمبروز لم يكن يحب جيري لورير ، ولعل للسبب أنه كان يعرف عنه هذه التصرفات ، إنما هنـــاك شيء مؤكد ، وهو أن تلك الفتاة مود واى ، كانت مغرمة بجيري لورير ، وأعتقـد أيضاً أنها كانا اليق ببعضهما من لورير وسيلفيا .

فقال السير هنري :

– أريد أن أوجه سؤالاً سريعاً قبل ان تسبقني مسز ماربل ، أريد أن أعرف إن كان جيري لورير ، بعد الفاجعة ، قد تزوج مود واي ؟

فأجابت مس بانتري :

– نعم .. انه تزوجها فعلا ، بعد ٦ أشهر ..

فقال الكولونيل بانتري ، مداعباً زوجته :

– يا للمكر . فكرنا كلنا عند بدء قصتك أنها بعظـام مجردة ، والآن نرى العظام مكسـوة باللحم !

فقال سير هنري معقباً :

– امرأتان ورجل ، الثلاثي البشري الخالد ، فهل هذا هو الأساس الذي قامت عليه قضيتنا ؟

فبدأ الدكتور لويد يقول :

– إني فكرت في القضية .. قبـل كل شيء ، هل أصبت أنت يا مسز بانتري بنوبة المرض في تلك الليلة ؟

– لست انا فقط ، بل زوجي آرثر أيضاً ، وكل الضيوف ..

– في رأيي أن من دبر هذا الحادث ، إما أنه فعل هذا عشوائياً معتمداً على الحظ ، أو بعامل الاستهتار التام دون مبالاة بحياة الناس ، فإني لا اكاد اتصور انساناً يتصدى عن عمد وتدبر لتسميم ثمانية أشخاص بهدف التخلص من واحد بينهم !

فقالت جين هيلر :

– او لم يكن محتملاً أن يسمم نفسه أيضاً في عداد الجميع ؟

فسألت مسز ماربل :

– هل تغيب أحد عن العشاء تلك الليلة ؟

فهزت مسز بانتري رأسها قائلة :

– كانوا كلهم هناك !

– فيما عدا مستر لوريمر يا عزيزتي ، فإنه لم يكن مقيماً في المـنزل مع الضيوف ، أليس كذلك ؟

فقالت مسز بانتري :

– صحيح .. لكنه تناول العشاء مع الجميع ..

فقالت مس ماربل :

- آه .. إن هذا من شأنه أن يوجد فارقاً كبيراً في القضية كلها !

وقطبت مس ماربل وجهها مستاءة ، وغمغمت قائلة :

- إني كنت غبية ، غبية جداً في الواقع ؟

فقال سير هنري مخاطباً الطبيب :

- اعترف بأن النقطة التي أثرتها يا دكتور تقلقني ، مـا الذي كان يضمن ان الفتاة ، والفتاة وحدها يمكن أن تتناول من الطعـام الكمية التي تكفي لقتلهـا ؟

فأجاب الدكتور لويد :

- لا ضمان .. والواقع ان هذا يجرني إلى النقطة التي كنت أريد عرضها ، لنفرض ان الفتاة لم تكن هي الضحية المقصودة ؟

في حالات التسمم الغذائي ، النتيجة غير مؤكدة بالمرة ، نحن إزاء عدة أشخاص يشتركون في لون واحد من الطعام ، ماذا يحدث ؟

واحد او اثنان منهم يشعران بانحراف ، واثنان آخران يصابان بنوبة جادة ، ولا شيء مؤكد بعد ذلك .. لكن هناك حالات يتدخل فيهـا عامل آخر ، إن (الديجيتالين) عقار يوثر تأثيراً مباشراً ..

والآن هناك شخص واحد في ذلك البيت يشكو من مرض للقلب ، فماذا لو أنه كان هو الضحية المختارة ؟

إن ما لا يكون خطراً مميتاً على الآخرين ، يكون خطراً مميتـاً بالنسبة اليه ، وهذا هو ، ما يتصوره القاتل منطقياً ..

اما وإن النتيجة قد اختلفت عن هـذا التقدير ، فإن هذا برهان على ما قلته لكم ، وهو عدم امكان التعويل على تأثير العقاقير على الكائنات البشرية ..

فقال سير هنري :

- انت تظن إذن أن السير امبروز كان هو الشخص المقصود ؟

– نعم .. نعم ! وكانت وفاة الفتاة نتيجة خطأ ؟

فقالت جين هيلر الممثلة الحسناء :

– من ورث السير امبروز بعد وفاته الطبيعية ؟

فقال السير هنري معقباً على السؤال :

– سؤال وجيه جداً يا مس هيلر ، إنه اول سؤال تعودنا ان نسأله اثناء عملي في البوليس ..

وقد اجابت مسز بنتري بتؤدة :

– كان للسير امبروز ابن تخاصم معه منذ سنوات ، ولم يكن في استطاعة السير امبروز حرمانه من الميراث ، رغم عقوقه وسوء خلقه ، وهكذا ورث ابنه مارتن امبروز اللقب والأملاك .

ولكن كانت هناك ممتلكات اخرى يستطيع سير امبروز التصرف فيها وقد تركها لوصيفته سيلفيا .. وانا اعرف هذه التفاصيل ، لأن سير امبروز توفي بعد اقل من سنة بعد الأحداث التي ذكرتها لكم ، ولم يحاول ان يعد وصية جديدة بعد وفاة سيلفيا ، واعتقد ان نصيب الفتاة آل إلى الحكومة ، او إلى الابن بإعتباره الوريث الوحيد ؟

فقال سير هنري ساهماً :

– إذن فإن النتيجة كانت لصالح ابن لم يكن موجوداً ، والفتاة توفيت بدورها ، هذه نتيجة لا تشجع على البحث في القضية ، مس ماربل ، أراك لا تنصتين ، انت بعيدة هنا في واد آخر ؟

فقالت مس ماربل :

– إني كنت افكر في قصة مستر بدجر الصيدلي العجوز ، كانت عنده مشرفة منزل صغيرة السن ، تعتبر في سن اولاده ، بل احفاده ..

وكان لأهل بيته وابناء وبنات اخوته واخواته آمال كبار في ثروته . وعندما توفي ، ولعلكم تصدقون هذا ، تبين انه كان متزوجاً سراً من المشرفة

الشابة ، مدى سنتين ..

نعم ، ان مستر بدجر كان فظاً من السوقة ، ولكن سير امبروز كان شخصية ممتازة ، كما وصفته لنا مسز بنتري ، ومع ذلك فإن الطباع البشريه هي هي في كل مكان ..

ساد الصمت برهة ..

وتطلع سير هنري إلى مس ماربل يتفرس فيها طويلا ، غير انها ردت على نظراته بإبتسامة رقيقة ونظرات يشوبها الغموض !

واخيراً قالت مسز بنتري :

– والآن ما رأيكم في قصتي ؟ ما هو حل هذا اللغز ؟ تكلم أنت اولاً يا سير هنري ؟

فراح مدير البوليس السابق يقول :

– سأتكلم بطريقة تحليلية ، لا بد منها ، لأنه ليس هنـاك شيء قاطع في هذه القضية .. هناك اولاً سير امبروز ..

انه لن يفيد حتماً من موت ربيبته ، ولهذا فهو مستبعد كقاتل ، وكذلك مستر كورن خبير المخطوطات والكتب القديمة – لا دافع له لقتل الفتاة !

فلو افترضنا بأن سير امبروز كان هو الضحية المقصودة لاستيلائه مثلاً على مخطوطات نادرة من مستر كورن .

فـــإن هذا لا يمكن ان يكون دافعاً للقتل ، ولذا نستبعد مستر كورن ايضاً ..

ننتقل إلى مس مود واي ..

لا دافع لها لقتل سير امبرور ، الا ان هناك دافع قوي لـكي تقتـــل سيلفيا ، فقد كانت طامعة في خطيبها ، وكانت تريده لنفسهـا ، طبقاً لمـا قالته مسز بنتري ..

وكانت مود مع سيلفيا في الحديقة في صباح ذلك اليوم ، ولذا كانت امامها

فرصة لاقتطاف اوراق النبات ، نعم . لا نستطيع استبعاد مود واي بسهولة . .

نتكلم الآن عن لوريمر الشاب ، لقد كان له دافع للقتل في كلتا الحالتين إذ تخلص من خطيبته كان في استطاعته أن يتزوج الأخرى . .

ومع ذلك يبدو أنها خطوة عنيفة ، لأن فسخ الخطوبة مسألة يسيرة هذه الأيام . .

وإذا توفي سير أمبروز ، أمكنه الزواج من فتاة وارثة غنية ، بدلاً من فتاة فقيرة ؟

وعن مسز كاربنتر ، اقول لكم انني ارتاب في أمرها ، فإني لا أرتاح إلى هذا الصنف المداهن من النساء !

ثم أن نقطة تبرئة نفسها بوجودها مع مسز بنتري وقت اقتطاف النباتات ربما كانت خطوة مدبرة لاخفاء الحقيقة . .

وإذا كان لا بد من تلخيص الموقف في شخص واحد ، فإني أحصر شكوكي ، في مود واي ، لأن الأدلة ضدها أكثر من الأدلة ضد غيرها ؟

فقالت مسز بنتري مشيرة إلى الطبيب :

ـ وأنت يا دكتور لويد ؟

فأخذ الطبيب يقول :

ـ أظن انك مخطىء يا سير هنري في النظرية القائلة بأن الفتاة كانت هي المقصودة بالقتل ، إني مقتنع بأن القاتل كان ينوي التخلص من سير امبروز ، ولا أظن أن لوريمر كانت لديه دراية كافية للموقف . .

وإني ميال إلى الاقتناع بأن مسز كاربنتر هي الطرف الجاني ، فقد أقامت مع الأسرة مدة طويلة ، وكانت تعرف كل شيء عن حالة سير امبروز الصحية ، وكان بإمكانها أن تدبر الأمور بسهولة ، بحيث تقتطف سيلفيا تلك الأوراق من الحديقة (وقد فهمنا أنها كانت اقرب إلى الغباء) . .

أما دافعها إلى القتل ، فأعترف بأنني لم أفكر فيه . ولكن ربما كان سير امبروز قد أعد وصية أوصى لها فيها بشيء ، ثم غيرها ، هذا هو أقصى ما عندي من حل للقضية .

وعندما أشارت مسز بنتري باصبعها إلى الممثلة الحسناء جين هيلر ، راحت هذه تقول :

– لا اعرف ماذا اقول . لماذا لا تكون الفتاة سيلفيا نفسها هي الفاعلة ؟ فهي التي اخذت اوراق النبات إلى المطبخ .

وقد سمعنا أن سير أمبروز كان يمانع في زواجها .. فإذا توفي ، نالت نصيبها من الميراث ، وكان لها ان تتزوج في الحال دون عقبة ، وكانت تعرف حالة سير امبروز الصحية مثل مسز كاربنتر تماماً ..

وعندئذ استقر اصبع مسز بنتري عند مس ماربل ببطء قائلة :

– تكلمي يا استاذة الجيل ..

فأخذت مس ماربل تقول :

– إن سير هنري ردكتور لويد قد شرحا القضية شرحاً وافياً في الواقع ، وكان دكتور لويد سديداً جداً فيما قاله ..

إن الاثنين بحثا الموقف بما فيه الكفاية ..

وفقط لا أظن ان الدكتور لويد قدر تماماً نقطة واحدة فيما ذكره ، وهذه النقطة متعلقة بنوع المرض القلبي الذي كان يشكو منه سير امبروز ، فهل كان بوسعه ، وهو لم يكن طبيبه الخاص ، أن يحدد نوع هذا المرض القلبي ؟

فقال دكتور لويد :

– لست أفهم قصدك تماماً يا مس ماربل ؟

فأجابت مس ماربل :

– إنك افترضت ان سير امبروز كان مصاباً بنوع من مرض القلب يؤثر

فيه (الديجيتالين) تأثيراً ضاراً ، اليس كذلك ، ولكن ربما كان التأثير عكس ذلك ؟

فسأل الطبيب :

ــ عكس ذلك ؟

فأجابت مس ماربل :

ــ نعم .. فقد قلت ان عقار (الديجيتالين) كثيراً ما يوصف في حالات اضطرابات القلب ؟

ــ وحتى على فرض ذلك يا مس ماربل .. فإنني لم أفهم بعد إلى أين ينتهي بنا هذا الكلام ؟

ــ معناه أن عقار (الديجيتالين) كان في حيازة سير أمـبروز بصورة طبيعية ، دون يسأله أحد عن سبب وجوده ..

إن ما احـــاول ان أقوله هو هذا ، وإن كان يؤسفني إني لا احسن التعبير ، لنفرض انك أردت ان تسمم اي شخص بجرعـــة مميتة من (الديجيتالين)؟

ألا تكون ابسط واسرع طريقة هي أن تعمل على تسميم الجميع ، بواسطة الأوراق النباتية الديجيتالين ؟

انه لن يترتب على ذلك خطر مميت لأي شخص آخر بالطبع ، لأن النتائج ليست مؤكدة كما قال الدكتور لويد ..

وفي هذه الحالة لن يسأل أحد إذا كانت الفتاة الضحية قد تناولت فعلاً جرعة مميتة من خلاصة (الديجيتالين) ، أو شيء من هذا القبيل ، ربما يكون قد دسها لها في كأس من كوكتيل او قدح قهوة ، او دعـاها إلى شربه ، باعتباره دواء مقوياً ؟

ــ هل تقصدين أن السير امبروز سمم ربيبتـه الحسناء التي كان يحبهـا ؟

فأجابت مس ماربل :

– هو هذا بالضبط ، مثلما حدث في حالة مستر بدجر ، ومشرفة بيته الشابة ! لا تقولوا لي انه من السخف أن يقع رجل في رستين في حب فتاة في العشرين ؟

إن هذا يحدث مثله كل يوم ، وبوسعي أن اقول شيئاً كهذا ، في حالة رجل مثل سير امبروز الارستقراطي المهذب ، يمكن أن يحدث بصورة مضاعفة ؟

إن هذه الحالات تتحول إلى لون من الجنون والهوس في الواقع ، انه لم يطق فكرة زواجها .. وقد بذل كل جهده لمنع هذا الزواج .. ثم فشل !

فاشتدت به الغيرة إلى حد انه فضل قتل سيلفيا ، ولا بد انه فكر في ذلك قبلها بمدة ، فعمل على غرس بذور نبات (قفاز الثعلب) السام بين نبات (الكزبرة) المستخدم للتوابل ..

وهو في هذه الحالة قد عمل على اقتطاف اوراق (قفاز الثعلب) بنفسه عندما جاءت المناسبة ، ودبر ان تحملها الفتاة إلى المطبخ بنفسها ، إن عملاً كهذا شيء فظيع ، ولكن الرجال في هذا السن يقدمون على افعال غريبة إذا كانت المسألة متعلقة بفتاة في ربيع العمر ؟

وعندئذ قال سير هنري :

– هل هذه هي الحقيقة يا مسز بنتري ؟

فأومأت مسز بنتري برأسها إيجاباً قائلة :

– نعم . والحقيقة اني لم اكن اتصور المسألة مجرد حادث بالقضاء والقدر ، ولكني بعد وفاة سير امبروز تلقيت رسالة كان قد اوصى بارسالها إليّ ، وفي هذه الرسالة اعترف لي بالحقيقة .

ولست ادري لماذا اختارني دون غيري لهذا الغرض ، ولكن ربما لأن

العلاقات بيننا كانت دائماً طيبة !

وخيم صمت ثقيل شعرت فيه مسز بنتري وكأنهـــا عرضة للانتقاد ، فسارعت تقول :

– انتم تظنون انني خنت واجب الأمانة ؟

ولكن ليس الأمر هكذا ، اني غيرت أسماء ابطال المـأساة ، واصبحت كما يقولون في المجلات ومقدمات الكتب :

« كافة الشخصيات في القصة من نسج الخيال » ..

ولذلك لن تعرفوا الشخصيات الحقيقية بحال !

الفصل التاسع

جريمة شهر العسل

قالت جين هيلر الممثلة الفاتنة وهي تبتسم تلك الابتسامة الأخاذة التي طالما استحوذت على المشاعر في مسارح لندن :

— حدثت هذه القصة الغريبة لصديقة لي هي ممثلة شهيرة في لندن ، فقد كانت تطوف بالأقاليم في رحلة فنية ..

وبينما كانت في إحدى هذه الرحلات استدعاها البوليس ذات يوم ، وكان الاستدعاء خاصاً بسرقة وقعت في فيللا مجاورة للشاطىء ، قبض فيها على شاب روى للبوليس قصة غريبة ، وهكذا استدعوها ..

وبعد ان تبين البوليس ان هناك التباساً اعتذروا لها ، وان عرضوا عليها رغم ذلك ان تتعرف على الشاب المقبوض عليه ، فلم تمتنع .

كان شاباً وسيماً احمر الشعر ، وقد فغر فاه عند رؤيتي .. آه ، اعني عند رؤية صديقتي الممثلة ..

وتوقفت جين هيلر برهة وقد تورد محياها ..

فقد كانت زلة اللسان دليلاً على انها هي بطلة القصة ، وان كان أعضاء الندوة لم يفهموا هذا من أول الأمر .

وبعد ان زال عنها الخجل والارتباك مضت تروي مـــا حدث لها بعد مواجهتها بالشاب ، قائلة :

– كان هذا الشاب يدعى لزلي فوكنر ، وقد كتب مسرحيات كثيرة لم تقبل واحدة منها ، وقال انه ارسل الي مسرحيـة جديدة ، وطلب مني قراءتهـا .

والواقع اني لم اعرف بأمر هذه المسرحية ، اذ اني اتلقى مسرحيات كثيرة ولكنني لا أقرأ الا القليل منها .

والظاهر ان مستر فوكنر تلقى رسالة مني – وإن تبين ان الرسالة لم تكن مني في الحقيقة – جاء فيها انني قرأت المسرحية واعجبت بها ، واني اود ان يقابلني للمناقشة في موضوعها ، على ان يكون حضوره الى فيللا ريتربيري .

وهكذا كان سرور فوكنر لا حد له ، وعند حضوره الى الفيللا استقبلته الوصيفة ، حين سألها ان كانت مس جين هيلر موجودة ردت بالايجـاب ، وقالت انها تنتظر حضوره ، وادخلته الى غرفة الجلوس .

وبعد قليل ظهرت له امرأة قدر انهـــا انا بالطبع ، اذ كانت تشبهني في الطول ولون الشعر وزرقة العينين !

وجلس مع المرأة التي استقبلته مرحبة ، وقالت انها اعجبت بالمسرحيـة وتود ان تمثلها ؟

واثناء الحديث جيء بالكوكتيل ، وتنـاول مستر فوكنر كأساً كالمعتاد وبعد ذلك لم يتذكر شيئاً !

وعندما استيقظ ، او افاق ، وجد نفسه ملقى على جـانب الطريق في حالة اعياء شديد ..

وقد قال الشاب بعد ذلك انه لو كان متمالكاً حواسه وقتها لعاد الى الفيللا لمعرفة حقيقة ما حدث .

ولكن كان منطمس الوعي ، وسار متخبطاً لا يعي مـا حوله ، الى ان

قبض عليه البوليس بتهمة سرقة الفيللا ، وهذه الفيلـلا ليست لي بالطبع ، بل لرجل غني من لندن استأجرها لسيدة ، والسيدة زوجة ممثل معروف ، وهي نفسها ممثلة ، وارجوكم اعفائي من ذكر الأسماء ..

وتورد وجه جين هيلر مرة ثانية ..

فسارع سير هنري مدير بوليس اسكتلنديارد السابق لنجدتهـا قائلا وهو يضحك ضحكة العارف الخبير :

– اذن سوف نسمي الرجل الغني بإسم سير هيرمان كوجـان .. والممثل بإسم كلود ليسون ، والممثلة بإسم مـاري كير ، ما رأيك يا عزيزتي ؟

فأجابت جين هيلر ضاحكة :

– انت بارع جداً في اختيار الأسمـاء .. لا بأس ! واعود الى القصة فأقول ، ان هذه الفيللا كانت معدة لكي يقضي فيها سير هيرمـان عطلة نهاية الأسبوع في صحبة المرأة ، وطبعاً لم تكن زوجته تعرف هذا !

وكان السير هيرمان قد اهدى المرأة مجموعـة من الحلى الثمينة ، من بينها أحجار زمرد نادرة ، وكانت المجوهرات محفوظة في علبـة موضوعة في الفيللا ..

وقد تلقى البوليس مكالمه تليفونيه من سيدة قالت انهـا مس ماري كير ، واخبرت البوليس ان سرقه وقعت في الفيللا ، ووصفت لهم شابـاً احمر الشعر ، زار الفيللا في الصباح ..

وقالت ان وصيفتها ارتابت في امر الشاب ، ولم تسمح له بـالدخول ، وبعد فترة شاهدته يخرج عن طريق احدى نوافذ الفيللا !

وكانت الأوصاف التي ذكرتها عن الشاب دقيقه الى حـد ان البوليس ضبطه بعد ساعه واحدة !

وعندئذ حكى لهم الشاب قصته واطلعهم على الخطاب المقول بإرساله

مني ، وهكذا استدعاني البوليس .

وعندما رآني الشاب قال مـا ذكرته لهم ، وهو اني لست السيدة التي استقبلته في الفيللا ..

فقال الدكتور لويد :

– قصة غريبة في الواقع .. هــل كان مستر فوكنر يعرف مس كير هذه ؟

فأجابت جين هيلر :

– لا . لم يكن يعرفها ، لكني لم اخبركم بعد بأغرب جانب في القصة ، فقد ذهب البوليس إلى الفيللا بالطبع ، ووجد كل شيء كما وصفته المخابرة التليفونية !

الأدراج مفتوحة والمجوهرات مفقودة ، ولكن الفيللا كلها خالية من أي شخص !

وقد مضت ساعات قبل عودة ماري كير ، التي قررت للبوليس انهـا لم تتصل بها تليفونياً بحال ، وان هذه هي أول مرة تسمع فيها بذلك ..

والظاهر انها تلقت برقية في صبـاح ذلك اليوم من مدير احد المسارح يعرض عليها دوراً هاماً ويحدد لها موعداً ..

وهكذا سارعت بالذهاب إلى لندن لاتمـــام المقابلة في الموعد المحدد ..

وعندمـا وصلت وجدت ان المسألة كانت خدعة ، وانه لم ترسل لهـا أية برقية ؟

فعقب السير هنري مدير البوليس السابق :

– حيلة معروفة لاستدراجها بعيداً عن الفيللا .. وماذا عن الخدم ؟

فردت جين هيلر :

– حدث نفس الشيء بالنسبة للوصيفة الوحيدة الموجودة في الفيللا .:

فقد تلقت مكالمة تليفونية من مس كير - في الظاهر طلبت فيها منهـا

موافاتها بحقيبة يد معينة ، في حجرة النوم ، على أن تستقل أول قطار إلى لندن !

وقد فعلت الوصيفة هذا واغلقت الفيللا ، ولكنها حين وصلت إلى النادي الذي حددته لها مس كير في المكالمة التليفونية طال انتظارها دون جدوى .

فقال سير هنري :

– بدأنا نفهم .. هكذا تركت الفيللا خالية ، فكان الدخول اليها من إحدى النوافذ مسألة سهلة ، لكنني لا ارى حتى الآن أين كان مستر فوكنر الشاب في هذا ، ومن الذي اتصل بالبوليس تليفونيا ، إذا لم تكن هي مس كير ؟

أجابت جين هيلر :

– هذا هو ما لم يوفق أحد إلى معرفته ؟

فقال السير هنري :

– غريب .. وهل صحيح أن الشاب هو ما قاله عن نفسه ؟

– نعم .. إن هذه الناحية من القضية سليمـــة ، فقد تلقى فعلاً الرسالة المنسوبة الي ، ولم تكن مشابهة لخطي بأي حال ، ولكنه بالطبع لم يكن يعرف !

فقال سير هنري :

– لنلخص الموقف إذن بوضوح .. السيدة والوصيفة تستدرجان بعيداً عن الفيللا ، وشاب يستدعى اليها برسالة مزورة .

ولكن تأكيداً لها ، فإنك كنت في ذلك الأسبوع في (ريفربــيري) لتمثيل إحدى مسرحياتك ..

ثم يجري تخدير الشاب ، ويستدعى البوليس وتوجه شبهاته إلى الشاب ذاته ، وقد حدثت سرقة واقعية في الفيللا اختفت فيها الجوهرات ، ألم يعثر

عليها بعد !

فردت جين هيلر :

– أبداً .. والواقع ان السير هيرمن حاول جهده التستر على الحـــادث وكتمانه ، لكن لم يوفق ، واعتقد ان زوجته شرعت في اجراءات الطلاق منه بعد هذه الفضيحة ..

فسأل سير هنري :

– وماذا تم بشأن مستر فوكنر ؟

فأجابت جين :

– لقد اطلق البوليس سراحه في النهاية ، إذ لم يجدوا ضده أدلة كافية ، ألا ترون معي أن القصة في غاية الغرابة؟

ساد الصمت والتأمل برهة بين الضيوف !

وأخيراً قال الدكتور لويد :

– القضية في منتهى الغرابة فعلاً .. لكن إذا سلمنـا بأن قصة الشاب حقيقية ، فلماذا عمدت تلك المرأة المجهولة التي انتحلت شخصية مس جين هيلر إلى استدراج هذا الشاب المجهول وتوريطه في القضية ؟ ما الذي يدعوها إلى افتعال هذه الكوميديا المدبرة ؟

فتولت مس بنتري الرد قائلة :

– قولي لي اولاً يا جين ، هل حدثت في اي وقت مواجهة بين الشاب فوكنر وبين ماري كير ؟

فقطبت جين حاجبيها مفكرة برهة ..

ثم أجابت :

– لا أعرف هذا تماماً ؟

فراحت مسز بنترى تقول :

– لأنه إذا لم تكن هذه المواجهة قد حدثت ، فإن حل القضية سهل

ميسور . بل اني متأكدة ان نظريتي صحيحة .

فإنه ليس اسهل من الادعاء بطلب الحضور إلى لندن ، من السهل على سيدة الفيللا الاتصال تليفونياً من اية محطه سكك حديد بالوصيفة ، وعند تنفيذ الوصيفة للطلب تعود صاحبة الفيللا اليها ، حيث يحضر الشاب بناء على موعد ! ويدس له المخدر ويرتب حدوث السرقة ..

ثم يبلغ البوليس تليفونياً ، مع ذكر أوصاف السارق كبش الفداء ، وعلى أثر المكالمة تعود صاحبة الفيللا إلى لندن مرة ثانية .. وبعد ذلك تكون العودة إلى الضاحيه بأول قطار ، وتمثيل دور السيدة البريئة التي انتظرتها مفاجأة السرقة !

فسألت جين :

– لكن لماذا تسرق هي شخصياً مجوهراتها ؟

فأجابت مسز بنتري :

– كلهن يفعلن ذلك .. ربما طلبت مالاً من سير هيرمن فرفض ، فدبرت حادثة سرقه المجوهرات على ان تبيعها فيما بعد !

او ربما كانت تواجه عمليه ابتزاز من شخص هدد بإبلاغ زوجها او زوجة سير هيرمان عن العلاقة بينهما ..

بل استطيع ، إذا شئتم ، أن اذكر لكم عشرات الأسباب التي يمكن ان تلجأ فيها المرأة إلى ذلك ..

والمهم انها تضرب عصفورين بحجر واحد ، تسرق المجوهرات .. ثم تنال مجموعة أخرى من السير هيرمن تعويضاً عن المجوهرات الضائعة ؟

فقال الكولونيل بنتري :

– هذه براعه منك في الاستنتاج يا دوللي ، اما انا فأشك في مستأجر الفيللا ذاته ، السير هيرمن .. من السهل ان يرسل البرقية لاستدراج

السيدة بعيداً .. ثم يقوم بباقي المهمه دون صعوبة بمساعدة صديقة جديدة ؟

فنظرت جين هيلر إلى مس ماربل وكانت صامتة مقطبة ..

فسألتها :

– ما رأيك يا مس ماربل ؟

فردت مس ماربل :

– لا أدري في الواقع ماذا اقول ، وإن كانت هناك احتمالات متعددة تطرح نفسها للفكر ..

مسألة الوصيفة مثلاً .. إن فيللا مثل هذه لا يمكن ان تعمل فيها فتاة مستقيمة ، ولنا إذن ان نفترض ان هذه الوصيفه لم تكن من النوع الأمين ، ونتيجة لذلك ، لا يبعد أنها كانت متحالفه مع اللصوص . فتركت لهم باب الفيللا مفتوحاً ، وذهبت إلى اندن منتحلة حكايه المكالمه التليفونيه ، لدفع الشبهه ..

ومع ذلك . فإن الملابسات تشعر بأن الحادث لم يكن حادث لصوص عاديين ..

وتوقفت مس ماربل برهه ..

ثم استطردت تقول بصوت حالم :

– اكاد اشعر أنه حادث فيه جانب كبير من الطابع الشخصي . ماذا لو تصورنا أن الحادث وليد حزازات شخصية ؟

كأن تكون هناك ممثلة لم يعاملها الشاب معاملة لائقه ، فدبرت هذا الحادث للايقاع به ؟

هذا ما يبدو لي في الوقت الحالي ، وإن لم تكن النتيجه مرضيه في نظري تماماً .

فالتفتت جين الى الدكتور لويد قائلة :
- وأنت يا دكتور . ما رأيك ؟

فأجاب الطبيب بعد تأمل :
— عندي نظرية تقول بأن الزوجة ربما كانت وراء هذا الحادث ، اعني زوجة سير هيرمن ، وإذا كنت لا أستطيع أن أبين بالتفصيل الأسباب التي استند اليها في هذه الفكرة ، إلا انكم تقدرون ما يمكن أن تندفع اليه الزوجة المخدوعة في مثل هذه الحالات . .

وهنا هتفت مس ماربل بانفعال :
— مرحى يا دكتور لويد ، هذه براعة منك في الاستنتاج . .
فقال السير هنري وقد لمعت عيناه :
— معنى هذا انك تؤيدين هذه النظرية يا مس ماربل ؟
ولكن مس ماربل هزت رأسها قائلة :
— لا . . ولا بد لي أن اعترف اني في حيرة من هذه القضية ، وكل ما يمكنني أن اقول الآن هو أن النساء لا بد لهن من التكاتف معاً ومساندة بعضهن البعض ، وهذا هو المغزى الذي يمكن ان يستخلصه الانسان من قصة مس هيلر ؟

فقال سير هنري برصانة :
— اعترف إن هذا الجانب الأدبي في القضية قد فاتني ، وربما أعرف المقصود منه عندما تكشف لنا مس هيلر سر القضية ، إني أعلن عجزنا جميعاً عن تقديم الحل المنشود ، بعد أن أعلنت مس ماربل عجزها !

فقالت جين هيلر ساهمة :
— انتم إذن تعترفون بعجزكم ؟ هذا شيء طريف جداً .
ومالت الممثلة الحسناء في مقعدها إلى الخلف ، وراحت تصقل أظافرها وهي شاردة الفكر . .

فقالت لها مسز بنتري :

– تكلمي يا جين إذن .. قولي لنا الآن ما هو حل هذه القضية الغامضة التي أعجزتنا جميعاً .

فحدقت جين قائله :

– الحل ؟ ليست عندي اقل فكرة !

– ماذا تقولين ؟

– كنت دائماً اعتقد أنكم جميعاً عباقرة في التفكير والاستنتاج ، وان أحدكم لا بد أن يتمكن من عرض الحل المطلوب ؟

في هذه المرة تضايق الجميع ..

وقد عبر سير هنري عن شعورهم قائلاً :

– تعنين ان لغز القضية لم يكتشف بعد ؟

فردت جين هيلر :

– نعم .. وهذا هو السبب في انه خطر لي ان احدكم ربما أمكنه أن يوفق إلى حل اللغز !

فقالت مسز بنتري :

– أنت فتاة عنيده يا جين .. على كل حـال إنا واثقـة ان نظريتي هي الصحيحة ، واذا أمكنك ان تذكري لنا الأسماء الحقيقية لأبطال القصة ، استطعت ان ازيد نظريتي تأكيداً ..

ولكن جين هزت رأسها ..

فخفت مس ماربل الى نجدتها قائله :

– لا يا عزيزتي ، ان مس جين لا يمكن ان تفعل شيئـــاً كهذا ، لا بد يا عزيزتي جين ان القصة أحزنتك جداً ؟

فأجابت بلهجة الصدق :

– ابداً .. اظن أنها امتعتني في الواقع ..

فقالت مس ماربل :

– لا بأس .. لا بد أن أعود الآن إلى البيت ، فان الوقت متأخر ، لكننا أمضينا سهرة ممتعة ، واظن ان قصة مس هيلر تستحق الجائزة لغموضها على هذه الصورة غير العادية ، ألا تتفقين معي ؟

فأجابت جين هيلر :

– إني آسفة لأني أتعبتكم ، اقصد لجهلي القضية ؟

وخف الدكتور لويد إلى مساعدة مس ماربل في ارتداء معطفها وتوصيلها إلى مسكنها !

وحيتهم مس ماربل متمنية لكل منهم نوماً هنيئاً ..

ثم اقتربت من جين هيلر ، فمالت نحوها وهمست في أذنها كلامـاً ، فلم تتمالك الممثلة الحسناء ان انتفضت قائلة :

– أوه .

مما دفع الجميع إلى الالتفات نحوها !

ولم تلبث مس ماربل أن أومأت برأسها باسمة ، ثم انصرفت في النهـاية وخرجت هيلر في أثرها .

وقالت لها المسز بنتري :

– هل تذهبين إلى فراشك يا جين ؟ مـــاذا جرى لك ؟ أراك تحدقين ، وكأنك رأيت شبحاً ؟

فأفاقت جين لنفسها ..

ثم حيت الرجلين الباقيين بابتسامتها الجذابة ، وتبعت مضيفتها إلى الدور العلوي ، حيث رافقتها مسز بنتري إلى غرفة نومها ..

وجلست جين على حافة الفراش ساهمة .

ثم قالت :

– هل تظنين أن هناك أناساً كثيرين مثل هذه العجوز مس ماربل ؟ إني

لا ادري في الواقع ماذا افعل ؟

وتنهدت عميقاً ..

فسألتها مسز بنتري :

– ماذا أصابك يا جين ؟

– اني قلقة مشغولة البال !

– لأي شيء ؟

فأجابت جين هيلر برصانه :

– دوللي .. هل تعرفين ما همست به تلك السيدة العجوز الغريبة في أذني قبل انصرافها الآن ؟

– لا . ماذا قالت ؟

– قالت لي ، لو كنت مكانك يا عزيزتي لما فعلت شيئاً كهذا ، لا تضعي نفسك بأي حال تحت رحمة امرأة أخرى ، حتى ولو تصورت وقتئذ أنهـا صديقتك ، هل تعرفين يا دوللي أن ما قـالته هذه العجوز صحيح الى أبعد حـد ؟

– ربما كانت الحكمة في ذاتها صادقة ، لكنني لا أدرك كيف كان تطبيقها عمليـاً ؟

– أظن أنه لا يمكن فعلاً الثقة بامرأة ، لأني عندئذ سأكون تحت رحمتها ، وهذه مسألة فاتني التفكير فيها ..

– عن أية امرأة تتكلمين ؟

– نيتا جرين .. ممثلة الدور الثاني معي ..

– وما الذي تعرفه مس ماربل بالله عن ممثلتك المساعده ؟

– أعتقد أنها فطنت إلى الحقيقة، وان كنت لا أدري كيف فعلت هذا ؟

– جين .. هلا كاشفتني بالله بما ترمين اليه من وراء هذا الكلام ؟

– أعني القصة التي قلتها لكم .. أواه يا دوللي ، انها خاصة بتلك المرأة ..

التي اختطفت كلود مني .

أومأت مسز بنتري برأسها وقد عادت بها الذاكرة سراعاً إلى زواج جين الفاشل من كلود ايفربيري ، الممثل ..

واستطردت جين تقول :

— انه تزوجها . وكان بوسعي أن أقول له كيف سيكون هذا الزواج ، ان كلود لا يعرف انها على علاقـة غرامية مع سير جوزيف سالمون ، وانهما يقضيان عطلات نهاية الأسبوع في الفيللا التي حدثتكم عنها ، اني أردت أن افضحها .. أردت أن يعرف كل انسان من أي طينة خلقت هذه المرأة .. ووقوع مثل هذه السرقة ، لا بد أن يكشف العلاقة ، ويفضح كل شيء !

فلم تتمالك مسز بنتري أن شهقت قائلة :

— جين .. هل دبرت أحداث هذه القصة التي سردتها علينا ؟

فأومأت جين ايجاباً قائلة :

— ومن أجل هذا اخترت مسرحية (سميث) التي تقوم فيهـــا بدور الوصيفة كما تعرفين ، اخترتها لكي أتمرن على الدور ، ولكي يكون زي الوصيفة جاهزاً عندي ، وفي الفيللا يمكن أن افتح الباب للقادم وأقدم له الكوكتيل ، في حين تدعي مساعدتي نيتا انها السيدة ، ولن يراها الشاب بعد ذلك بالطبع وهكذا لن يكون هناك اي خوف من التعرف عليها .. ثم دبرنا انا ونيتا حمله الى الطريق بعد ان يفقد الوعي ، وليس ايسر بعد ذلك من أن نسلب علبة المجوهرات ، ونتصل بالبوليس تليفونياً ، ثم نعود الى الفندق ، وهكذا ينشر الحادث في الصحف ، ويعرف كلود حقيقة المرأة التي تزوجها !

جلست مسز بنتري على حافة الفراش وهي تضرب كف على كف قائلة :

— كل ذلك وانت تحكين لنا قصة مختلفة ، يا لك من مخادعة يا جين !

فقالت جين بهدوء :

— اني ممثلة قديرة كما تعرفين ويعرف الناس كلهم ، لا اظن ان سري قد

افتضح أمامكم جميعاً ..

فغمغمت مسز بنتري قائلة :

– إلا مس ماربل .. التي قالت أنها تشتم الطابع الشخصي ، لكن هل تقدرين أيتها الطفلة إن السرقة هي السرقة .

فأجابت جين :

– على كل حال لم يهتد أحدكم إلى الحقيقة ، إلا مس ماربل ، هل تظنين أن هناك كثيرون مثلها ؟

فأجابت مسز بنتري :

– بصراحة ، لا أظن ..

فتنهدت جين تقول :

– ومع ذلك من الأفضل ألا يعرض الانسان نفسه للمخاطر ، فـــإنني سأكون تحت رحمة نيتا بالطبع ، لأنها قد تنقلب علي ، او تهددني لابـتزاز المال ، او اي شيء من هذا القبيل .. إنها حقيقة ساعدتني في تدبير تفاصيل المكيدة ، وعاهدتني على الاخلاص والكتمان . لكن الانسان لا يستطيع أن يطمئن إلى ثبات المرأة ! نعم .. أظن أن مس ماربل على حق ، والأفضل ألا أخاطر بهذه العملية !

– لكنك يا عزيزتي خاطر فعلاً ؟

ففتحت جين عينيها الزرقاوين على سعتهما وقالت :

– آه .. كلا .. ألم تفهمي بعد ؟ إن هذه القصة لم تحدث بعد ، إني كنت أجربها فقط !

فقالت مسز بنتري ممتعضة :

– هل تعنين انه مشروع قصة المستقبل ، لا قصة وقعت فعلاً ؟

– كان في نيتي أن انفذها في سبتمبر القادم ، ولا أدري الآن مـاذا أفعل ؟

فقالت مسز بنتري بلهجة الحنق :

– وقد استطاعت مس ماربل أن تخمن الحقيقة ، ولم تخبرنا بها !

– اظن أنها لهذا السبب قالت ما قالته ، عن وجوب تكاتف النساء بعضهن مع بعض ، إنها لم تشأ أن تفضحني أمام الرجال من الضيوف ، فهذا كرم منها في الواقع !

فقالت مسز بنتري :

– لا بأس يا جين ، لا بد أن تنفضي يديك من عملية كهذه بصفة نهائية !

فغمغمت مس هيلر تقول :

– سأعمل بنصيحتك يا عزيزتي ، فإن مس ماربل ستكون لي بعد الآن بالمرصاد . .

الفصل العاشر

فاجعة في المصحة

الح سير هنري ، مدير بوليس اسكتلنديارد السابق على مس ماربل أن تكون هي صاحبة القصة الغامضة هذه السهرة ، وأيده باقي أعضاء الندوة !

فقالت مس ماربل وهي تتنهد امتثالاً :

– لا بأس .. لقد تذكرت الآن حادثاً ، بل فاجعة ، قدر لي أن أكون طرفاً فيها ، وربما تجدون حديثي عنها غير منمق ولا متسلسل ، لأني أشط أحياناً في السرد والسياق ، ولهذا أرجو المعذرة سلفاً !

كان مسرح الفاجعة في مصحة كيستون للمياه المعدنية حيث أمضيت هناك فترة للاستجمام .. والتقيت هناك فيمن التقيت بهم بالزوجين الشابين ساندرز وجلاديس .

وكان الشاب وسيماً مرحاً إلى أبعد الحدود ، ولم يكن هناك من هو أشد منه تفانياً في حب زوجته . ولكني شعرت من اول نظرة انـــه ينوي التخلص منها ؟

فقال سير هنري وقد مال إلى الأمام باهتمام :

– وعلى اي أساس بنيت هذا التقدير ؟

– على مجرد الاحساس الغريزي الذي لا يخطيء سمه الخبرة ، سمه المعرفة ، سمه ما شئت ، لكنه هكذا كان الشأن معي دائماً !

اذكر لهذه المناسبة حكاية سيدة أعرفها كانت تزمع السفر إلى سويسرا مع زوجها لتسلق الجبال ، وقد حذرتها من مغبة رحلة كهذه ، ولكنها لم تستمع إلي .

وكانت النتيجة سقوطها ووفاتها ، واقتران زوجها بامرأة أخرى !

وامثال هـذه (الحوادث) ، يعرفهـا الانسان بالاحساس ، ولكن لا يمكن إقامة الدليل المادي عليها ..

وفي قصة ساندرز وزوجته تصادف ان ركبنا ثلاثتنا الترام المؤلف من طابقين ، وعند لحظة النزول نهضنا معاً ..

وفجأة اختل توازن مستر ساندرز ، وسقط بكل ثقله على زوجته ، وكان من اثر ذلك ان ارسلها تهوي إلى الطابق الأرضي ، ولولا ان السائق كان قوي البنية وتلقفها لكانت نهايتها في هذه السقطة .

– لكن مما لا شك فيه ان هذا مجرد حادث ..

– بالطبع هو حادث ، فليس هناك ما يجعله اكثر من حـادث عرضي ، لكن إذا عرفتم ان مستر ساندرز كان يعمل في البواخر التجارية ويمكنـه الاحتفاظ بتوازنه ، وانه ليس هو الذي يفقد التوازن على سطح ترام علوي إذا استطاعت عجوز مثلي ان تحتفظ بتوازنها ، فلا تجادلوا أيها الأصدقاء في قيمة (الاحساس) و (الغريزه) .

فقال السير هنري :

– سنسلم لك يا مس ماربل بأنك كونت رأيك في طبيعة مستر ساندرز ونواياه حيال زوجته من أول نظرة ، وماذا بعد ؟

-- ما الذي كنت استطيع ان أفعله في هذه الظروف للحيلولة دون قتل الزوجة ؟

لم يكن بوسعي الالتجاء إلى البوليس بغير ادلة مادية ، ولم يكن ثمة فائدة من تحذير الزوجة ، لأن جلاديس كانت مفتونة بزوجها .

ومكذا لم يكن امامي سوى ان استجمع عنهما كل ما يمكن من المعلومات ؟

وفي جلساتنا المشتركة للسمر في الفندق عرفت من جلاديس التي كانت مولعة بالثرثره ، أنهما تزوجا منذ عهد غير بعيد ، وان زوجها كان ينتظر ميراثا قريبا ..

وفي خلال ذلك كانت حالتهما المالية محدوده ، إذ كانا يعيشان على إيراد الزوجة القليل الناتج من رأس المال الأصلي الذي لم تكن تريد المساس به .

ولكنهما حررا مع عقد الزواج وصيتين أوصى كل منهما بأن يؤول إلى الطرف الباقي على قيد الحياة ما يملكه الطرف الآخر بعد أن يرث ساندوز ميراثه المنتظر طبعا .

وفي انتظار هذا الأمل كانا يعيشان في ضيق ، حتى انهما استأجرا غرفة في الطابق العلوي للفندق بين غرف الخدم ، مما يعرض حياتهما للخطر في حالة حدوث حريق – وإن كان هناك سلم نجاة من الحرائق خارج نافذتهما مباشرة .

وحين عرفت ان النافذة تطل على الشرفة حذرتهما من الخروج إلى تلك الشرفة ..

وقلت لها اني رأيت حلما يبرر هذه النصيحة التي أسديتها اليها ..

وكانت سريعة التصديق ، ولكن هذا لم يمنع من أن تنقل النصيحة إلى زوجها ، حتى إني فاجأته وهو ينظر الي فيما بعد نظرات غريبة ، خصوصاً بعد أن تذكر اني كنت معهما في الترام العلوي .

كنت في اشد القلق على حياة هذه الزوجة الساذجة ، دون أن اهتدي إلى وسيله لانقاذها من زوجها ..

حتى فكرت أخيراً في خطة جريئة لاستدراجه وإيقــاعه في الشرك ، وحين يحاول الاعتداء على حياتها اكشف النقاب عنه ، وافضح أمره أمــام زوجته ، مهما تكن الصدمة التي أسببها لها .

فسأل الدكتور لويد :

– وما هي الخطة البارعة التي تفتق عنها تفكيرك يا مس ماربل ؟

فأجابت تقول :

– اني أعددت هذه الخطة فعلا .. ولكن الرجل كان أدهى وأسرع مني فلم ينتظر ، وضرب ضربته ، كان يعرف اني اشك في احتمال وقوع (حادث) ولهذا جعلها (جريمة قتل) .

سرت شهقة يسيرة بين أعضاء الندوة .

فأطبقت مس ماربل شفتيها بصرامة وقالت :

– يؤسفني اني لم أعرض الصورة أمامكم بوضوح كاف ، ولذلك لا بد أن أحكي لكم بالضبط ، ما حدث بالترتيب ..

اني في الواقع أشعر بشدة المرارة كلما زادت هذه الظروف ، ويخيل الي أحياناً أنه كان يجب علي أن أحول دون ما وقع ..

ولكن يد القضاء كانت غالبة ، ولا حيلة أمامها ، وعلى أي حــال فإنني فعلت كل ما استطيع في كل خطوة ..

كنا وقتها في الفترة التي تسبق عيد الميلاد بأربعة أيام ..

وكنت جالسة في غرفة الجلوس بالفنــــدق مع مس ترولوب ، ومسز كاربنتر العجوز نتجاذب أطراف الحديث في الظروف السيئة التي اقــترنت بوفاة بواب المصحة ، ثم وفاة إحدى الوصيفات بعد أيام معدودة .

الأول نتيجة نزلة شعبية والتهــاب رئوي حاد اودى بحياته ، والثانية بسبب خراج في الاصبع ..

وإذا بمسز كاربنتر تقول بلهجة اقرب إلى النعيق :

– سجلي كلامي . ليست هذه هي النهاية . فالمثل يقول . (لا اثنان بدون ثالث) . اني وجدت صحة هذا المثل في مناسبات كثيره ، ولذلك سوف تحدث وفاه ثالثة ، ولن يطول انتظـارنا .. (لا اثنان بدون ثالث) .

وفيما هي تقول هذه الكلمات الأخيرة إذ رفعت رأسي فجـأة عن إبرة التطريز .

فلاح لي مستر ساندرز واقفاً في المدخل ، وكان منهمكاً في التفكير ، إلى حد انه لم يفطن إلى تلك النظره المليئه بالغدر التي لاحت برهه في عينيه !

على انه لم يلبث ان تقدم الى داخل الغرفه وهو يبتسم ابتسامتـــه المذبه ..

وقال لنا

– إني ذاهب لشراء لوازم عيد الميلاد ، فهل من خدمه أؤديها يا سيداتي ؟ سأذهب إلى سوق كيستون حالاً ..

وتوقف دقائق يضحك ويتكلم ..

ثم انصرف خارجاً .

وفجأه تملكني القلق ..

فقلت على الفور :

– أين مسز ترواوب ؟

– انها ذهبت إلى أسره مورتيمر أصدقائها للعب الورق

وإذا كان هذا قد أراح بالي مؤقتاً . إلا اني لبثت قلقـه لا أدري ما أفعل .

وبعد حوالي نصف ساعه صعدت إلى غرفتي ..

ولكني قابلت في طريقي على الدرج الدكتور كولز نازلاً ، فطلبت منه ان يجيء معي إلى غرفتي لاستشارته في داء الروماتيزم الذي اعاني منه !

وفي خلال هذه المقابلة أشار الى وفاة الوصيفة المسكينة ، وقال أن مدير الفندق لا يريد انتشار الخبر ، ورجاني ان أراعي ذلك .

وبالطبع لم أقل للطبيب الطيب القلب ان هذا الموضوع كان مدار الحديث مدى ساعة كاملة منذ ان افظت الفتاة المسكينة آخر انفاسها ، لأن مثل هذه الأمور لا تبقى طي الكتمان ..

لكن الدكتور كولز كان يصدق كل شيء ، لهذا لم يزعجني كلامه بقدر ما ازعجني ما قاله لي بعد ذلك .

فقد اخبرني وهو يتأهب للانصراف ان مستر ساندرز طلب منه أن يفحص زوجته ، لأنهـــا تعاني في المدة الأخـــيرة من اضطرابات في المعدة .. الخ .

وكان مبعث انزعاجي هو ان جلاديس ساندرز نفسهـــا ذكرت لي هذا اليوم بالذات انها تتمتع بمعدة تهضم كل شيء ، وأنهـــا تحمد الله على ذلك

هكذا عادت الي شكوكي في زوجها بصورة مضاعفة ..

ان ساندرز يدبر شيئاً – ويمهد الطريق بهذا الكلام ..

ما الذي يدبر ؟

وعندما خرجت من غرفتي بعد ذلك ، كان الذي قابلته هو ساندرز نفسه نازلاً على درج السلم . وكان مرتدياً ملابس الخروج .

وقد سألني مره اخرى إن كنت في حاجة إلى شراء شيء من البلده ، فلم اجد الا أن ارد على مجاملته بالشكر ..

وذهبت من فوري إلى قاعة الجلوس وطلبت الشاي ، وكانت الساعة وقتها الخامسة والنصف بالضبط ..

وهو ما اتذكره جيداً ..

والآن يهمني كثيراً ان اسجل بدقه كل ما حدث بعد ذلك ..

فقد كنت ما زلت في قاعة الجلوس في الساعة ٧ إلا الربع حين اقبـل مستر ساندرز ، وكان معه رجلان .

وبدا أن ثلاثتهم في حالة انتعاش من اثر الشرب !

وما لبث ساندرز أن ترك صديقيه وتقدم مني مباشرة حيث كنت جالسة مع مسز ترولوب ، وقال :

أنه يود أن يعرف رأينا في هدية عيد الميلاد التي يقدمها لزوجته ، وكانت حقيبة يد للسهرة !

وقد قال لنا :

– الحقيقه يا سيداتي اني من رجال البحر ، ولا أعرف شيئاً في هـذه المسائل .. انهم أرسلوا إلي ثلاث حقائب لاختار واحدة منها ، وأريد رأي أهل الخبرة !

وبالطبع أبدينا استعدادنا لتقديم هذه الخدمة الانسـانية ، فرجانا أن نصعد معه إلى غرفته ، لأن زوجته قد تعود من الخارج في أية لحظة إذا هو أحضر لنا الحقائب من الحجرة .

وهكذا صعدنا معه إلى غرفته . ولن أنسى ما عشت ما حـدث بعد ذلك ..

لقد فتح مستر ساندرز باب غرفة النوم وأضاء النور ، ولست أدري من منا شاهد ما شاهدناه قبل غيره ..

كانت مسز ساندرز ملقاة على الأرض .. على وجهها ..

ميتـه ..

أسرعت اليها قبل غيري ، وركعت بجانبها ، وتناولت يدها وتحسست النبض ، ولكن بلا فائدة ..

فإن الذراع نفسه كان بارداً ومتيبساً ، وكان بجانب رأسها جورب مملوء بالرمل ، وهو الأداة التي تلقت بها الضربة القاتلة ..

ووقفت مسز ترولوب المسكينة تئن قرب الباب ممسكة برأسها

أما ساندرز فقد أرسل صيحـــة مدوية ، وهو يردد « زوجتي .. زوجتي » ؟

ثم اندفع نحوها ..

فمنعته من لمسها !

إذ كنت متأكدة وقتها من أنه هو الفاعل ، وربما كان هناك شيء يريـد أخذه او اخفاؤه .

قلت له وقتها .

– لا يجب لمس أي شيء يا مستر ساندرز ، اسمعي يا مسز ترولوب . انزلي واطلبي المدير ..

ولزمت مكاني راكعة قرب الجثة ، فقد صممت ألا أدع سانـدرز وحده معها ، ومع ذلك رأيتني مضطرة إلى الاعتراف بـــأنه لو كان هذا الرجل (يمثل) فإن تمثيله كان متقناً رائعاً . فقد بدا مشدوهـــاً ، متحيراً ، مسلوب القلب والعقل معاً ..

وجاء المدير على الأثر ، وبعد ان فتش الغرفة على عجل اخرجنا جميعاً ، وأغلق الباب بالمفتاح ، واحتفظ به معه ..

ثم ذهب واتصل بالبوليس تليفونياً ..

وخيل الينا أنه مر دهر قبل وصول البوليس (وقد علمنـا فيما بعد أن الخط كان به عطب) ، فـاضطر المدير إلى ارسال مندوب الى مركز البوليس ..

وفي خلال ذلك صدعت مسز ترولوب رؤوسنا بنبوءتها المشئومة عن (لا اثنان بدون ثالث) ، التي تحققت بمثل هذه السرعه .

أما ساندرز ، فقد سمعت أنه راح يتجول في الساحه الخارجية وهو يمسك برأسه ، يئن ويتوجع ، ويبدي كل مظاهر الحزن والتفجع ..

وجاء رجال البوليس في النهـــاية ، وقد صعدوا الى الحجرة مع المدير وساندرز .

ثم ارسلوا يستدعوني !

فصعدت اليهم . ورأيت مفتش البوليس جالساً الى خوان يكتب ، وكان رجلاً بادي الذكاء ..

وقد ابتدرني بقوله :

— مس جين ماربل ؟

— نعم .

— فهمت يا سيدتي أنك كنت حاضرة حين اكتشفت جثة المتوفاة ؟

فأجبت بالايجاب ، ووصفت له ما حدث ..

وأحسب أن المفتش ارتاح لهدوئي وأسلوبي في الاجابه ، بعد أن عانى الكثير أثناء استجواب ساندرز ، ومسز ترواوب ، التي كانت في حـــالة يرثى لها ..

وحين فرغت من بياناتي ..

قال لي المفتش :

— شكراً لك يا سيدتي .. والآن أرجو منك أن تنظري الى الجثة مرة ثانيه . هل وضعها هذا هو الوضع الذى كانت عليه عندمـــا دخلت الى الحجرة ؟ ألم يحركها أحد بأى طريقة ؟

فشرحت له اني منعت مستر ساندرز من ذلك ..

فأومأ المفتش تقديراً قائلاً :

— ان هذا السيد يبدو في حالة حزن شديد ..

فرددت عليه بقولي :

— يبدو هكذا .. نعم !

فرمقني المفتش بنظرة حادة .

ولكنه قال ·

- إذن ، يمكننا أن نقرر أن الجثة الآن على الحالة التي كانت عليها عند اكتشافها ؟

فقلت له

-- نعم فيما عدا القبعة !

فتطلع الي المفتش بحدة قائلا :

- ماذا تقصدين ، بكلمة (القبعة) ؟

فقلت : ان القبعة كانت على رأس جلاديس التعسه ، في حين أنها الآن ملقاة بجانبها

وكنت أظن بالطبع ان البوليس هو الذي فعل هذا .

ولكن المفتش نفى ذلك نفياً قاطعاً ، وقال

- انه لم يجر حتى الآن لمس وتحريك اى شيء ..

وما لبث ان وقف وجعل ينظر الى الجثة الممددة مقطباً مفكراً ، فكانت جلاديس مرتدية ملابس الخروج ، أما القبعة فكانت ملقاة قرب الرأس ..

وبعد ان طال وقوف المفتش في مكانه مقطباً مفكراً ..

وقال لي وقد خطرت له فكرة :

- هل يمكنك ، يا سيدتي ، ان تتذكرى ما اذا كان هناك قرط في الأذنين ، او اذا كانت المتوفاة تضع قرطاً في العاده ؟

ومن حسن الحظ اني قوية الملاحظة ، وقد تذكرت الآن اني لمحت بريق لآلىء أسفل حافة القبعة ، وان كنت لم الق بالاً إلى هذا بصفة خاصه وقتها ، ولما اجبت بالايجاب على الشطر الأول للسؤال قال المفتش :

- اذن فإن هذا يحسم الأمر ، ان علبه مجوهرات السيدة تعرضت للسرقه وان فهمت انها لم تكن تملك شيئاً يعتد بقيمته ، وقد سرقت الخواتم من اصابعها ، ولا بد أن القاتل نسي القرط ، فعاد لأخذه بعد اكتشاف

الجريمة . لا بد أنه مجرم ثابت الأعصاب ، او ربما كان مختبئــاً هنا في الغرفه ، طول الوقت .

ولكنني نفيت هذه الفكرة .

وقلت المفتش : اني نظرت وقتها تحت الفراش ..

وفتح المـدير دولاب الملابس ، ولا يوجد مكان غيرهما يمكن أن يختبيء فيه ، وكان مكان القبعات في الدولاب مغلقاً ، ولكن فراغـه المحدود تشغله الأرفف ، ولا يتسع للاختباء فيه ..

فأومأ المفتش مؤمناً على كلامي قائلاً :

– سآخذ بكلامك يا سيدتي ، وفي هذه الحالة لا بد كما قلت أن القاتل قد عاد الى هنا ، انه مجرم ثابت الأعصاب .

– لكن المدير اغلق الباب واخذ المفتاح ؟

– ولو .. هناك شرفة وسلم الحريق ، وعن طريقهما جاء اللص ، ومن المؤكد انكم فاجأتموه وهو يعمل ، فانسل من النافذة ، وعندما خرجتم عاد

فقلت المفتش :

– هل أنت متأكد من انه حدثت سرقة ؟

فأجاب بجفاء .

– حسناً .. هذا ما يبدو ، اليس كذلك ؟

لكن شيئاً في نبراته جعلني ارتاح ، فقد شعرت بأنه لا يأخذ دور ساندرز كزوج متوجع مأخذ الجد .

والحقيقة اني كنت مقتنعة بـــأن ذلك الرجل ساندرز سعى الى مصرع زوجته حتى اصبح هذا الاقتناع بمثابة الفكرة المتسلطة المستحوذه .

ومع ذلك ، فإن ما يحدث في هذا العالم الغريب هو عكس مـــا يتوقع الانسان ويحسب ..

كنت واثقة من ادانته .

وأظن ان هذه الفكره اعمت حواسي ، ولذلك جـــاءت النتيجة بمثابه صدمه لي ..

فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك ، ان مستر ساندرز لا يمكن أن يكون هو مرتكب الجريمه .

وهنا شهقت مسز بنترى .

فابتسمت مس ماربل واستطردت تقول :

ـ اعرف يا عزيزتي ، ان هذا مما لم تكونوا تتوقعونه حين بدأت هــذه القصه ، لكن الحقائق هي الحقائق ، واذا ثبت للانسان خطـأه فعليــه الاعتراف بالحقيقة والمحاولة من جديد .

والآن تريدون معرفة الحقائق التي أشرت اليها .

لقد أمضت المسز ساندرز فترة بعـــد الظهر تلعب الورق عند أسرة مورتيمر .

وانصرفت من عندهم حوالي الساعة السادسة والربع ، والمسافة من بينهم إلى الفندق يقطعها السائر في حوالي ربع ساعة

وإذن فلا بد أنها وصلت حوالي السادسة والنصف !

ولم يشهد أحد برؤيتها تدخل إلى الفندق ، وإذن فلا بد أنهــا دخلت من الباب الجانبي وصعدت مسرعة إلى غرفتها ، وهناك غيرت ملابسها (فقــد وجد التايير البني الذي ارتدته للخروج معلقاً في الدولاب) .

ويظهر أنها كانت تستعد للخروج مرة ثانية ، حين أصيبت بتلك الضربة القاتلة من كيس الرمل ..

وهو سلاح فعال ..

فيبدو من هذا أن مهاجميها كانوا مختبئين في الغرفة ، ويحتمل أنهم كانوا في إحدى خانات دولاب الملابس الكبير التي لم تفتحها ..

وفيما يختص بتحرك السيد ساندرز ، فإنه خرج ، كما قلت حوالي الساعة

الخامسة والنصف ، أو بعد ذلك بقليل ..

وبعد أن قام ببعض المشتريات ..

خرج حوالي الساعة السادسة وقصد إلى (فندق العين الساخنة) حيث التقى بصديقين له وهما نفسهما اللذان عاد بصحبتهما إلى فندقنا فيما بعد .

وقد لعبوا البليارد وشربوا الويسكي بكثرة كما فهمت ..

فكانا فعلاً ملازمين له طول الوقت ، من الساعة السادسة .. وما بعدها ..

وقد رافقناه إلى فندقنا ..

ولم يتركهما إلا حين جاءني وأنا جالسة مع المسز ترولوب كما قلت لكم من قبل !

فكان ذلك حوالي الساعة السابعة إلا الربع – وهو الوقت الذي لا بد أن زوجته كانت فيه ميتة فعلاً ..

وهناك مسألة ظهرت فيما بعد !

إذ يبدو ، أنه بينما كانت المسز ساندرز تلعب الورق عند أسرة مورتيمر ..

طلبها من يدعى المستر ليتلويرت للتحدث بالتليفون ، وقد لوحظ بعد المكالمة ، أنها منفعلة ومسرورة من شيء ما ، ثم انصرفت من عند الأسرة قبل الموعد المقدر لانصرافها .

وحين سئل المستر ساندرز إن كان يعرف شخصاً باسم ليتلويرت ، نفى هذا بتاتاً !

فكان ذلك أيضاً هو الانطباع الذي بدا في مسلك المسز ساندرز عقب المكالمة وإن عادت منها مبتسمة موردة ..

ومن هذا يبدو أن المتكلم لم يذكر اسمه الحقيقي ، وتلك ظاهرة مثيرة

للشك في مجرى الأحداث .

وعلى أي حال ، فهذا هو الموقف بالنسبة للقضية الغامضة ..

فهل ما حدث هو واقعة السرقة التي بدت غير محتملة ..

أو النظرية القائلة ، بأن المسز ساندرز كانت تستعد للخروج لمقـــابلة شخص معين ؟

هل جاء اليها ذلك الشخص عن طريق سلم الحريق ؟

وهل حدثت مشادة بينهما ؟

هل هاجمها غدراً ؟

توقفت المس ماربل عن الكلام ..

فقال سير هنري ، المدير السابق للبوليس

– حسناً . ما هو الجواب ؟

فسألت :

– ترى هل فكر أحدكم في الجواب ؟

فردت المسز بنتري :

– من المؤسف أن ساندرز توفرت له هذه الأدلة لتغطية تحركاتـه وقت وقوع الجريمة ، لكن ما دمت قد اقتنعت بها فقد انتهت المعضلة .

فقالت المس هيلر الممثلة الفاتنة :

– لماذا كانت خانت القبعات في دولاب الملابس مغلقة ؟

فأجابت المس ماربل وقد تهلل محياها :

– ما أبرعك في هذا السؤال يا عزيزتي ..

– انه السؤال الذي وجهته لنفسي ، وإن كان التفسير غاية في البساطة ، كان في تلك الخانة زوج شبشب مطرز ، وبعض منـاديل الجيب كانت الزوجة المنكودة تطرزها لزوجها كهدية لمناسبة عيد الميلاد ، ولهذا السبب أغلقت الخانة بالمفتاح ، الذي وجد في حقيبة يدها .

فسألت هيلر :

– إذن فليست هذه النقطة هامة في النهاية !

فقالت المسز ماربل :

– بل هي أهم نقطة في الموضوع .. النقطـــة التي أفسدت على القاتل خطتـــه ؟

حملق الجميع في وجه السيدة العجوز !

فمضت تقول :

– اني لم افطن الى هذه النقطة مدى يومين كاملين ، وكنت خلال ذلك أفكر وأقدح زناد الفكر – ثم فجأة اتضح لي كل شيء ، فذهبت الى المفتش وطلبت منه أن يجرب شيئاً ، ففعل ما طلبت .

– وما الذي طلبت منه أن يجربه ؟

– طلبت منه أن يطابق تلك القبعة على رأس القتيـــلة المنكودة .. وبالطبع لم يستطع .. فـإن القبعة لم تنطبق على الرأس ، لأنهـا لم تكن قبعتهـــا ؟

فحدقت اليها المسز بنتري فقالت :

– لكن القبعة كانت على رأسها في البداية .

فردت المس ماربل :

– لم تكن على رأسها .

وتوقفت المس ماربل برهة حتى تستقر كلماتها في النفوس .

ثم استطردت تقول :

– إننا سلمنا جميعاً بأن الجثة التي وجدناها كانت جثة جلاديس الزوجة المسكينة ، لكننا لم ننظر قط إلى وجهها ، فقد كانت منكفئة على وجهها ، وكانت القبعة تخفي كل شيء .

فسألت هيلر :

– لكنها ماتت قتلاً ؟

– نعم . لكن فيما بعد ، في اللحظة التي كنا نبلغ فيها البوليس تليفونياً كانت جلاديس ساندرز على قيد الحياة !

– تقصدين أنها كانت جثة امرأة اخرى تتظاهر بأنها جلاديس ، ولكن عندما لمستم الجثة ؟

فقالت المس ماربل :

– كانت جثة امرأة ميتة ، لا شك في ذلك .

فقال الكولونيل بنتري :

– يا للعجب .. لكن لا يمكن أن توجد الجثث يميناً ويساراً تحت الطلب وماذا فعلوا بالجثة الأولى – فيما بعد ؟

فراحت المس ماربل تقول:

– انه أعاد الجثة الأولى الى مكانها ، لقد كانت فكرة شيطانية في الواقع وكان حديثنا في غرفة الجلوس هو الذي أوحى اليه بالفكرة، فكرة استخدام جثة ماري الوصيفة المسكينة التي توفيت منذ فترة ..

تذكروا أن غرفة ساندرز كانت بين غرف الخدم في الدور العلوي ، وكانت غرفة ماري الوصيفة بعد غرفتها بغرفتين ..

وكان المعروف أن (الحانوتي) ورجاله لن يحضروا لنقل جثتها قبل حلول الظلام ؟

فاطمأن ساندرز إلى هذا ، وحمل جثة الوصيفة في الشرفة المستطيلة المشتركة (والظلام يسود في الخامسة) .

والبسها ملابس زوجته ومعطفها الأحمر الكبير ، وعندئذ وجد خانة القبعات مغلقة ؟

فلم يكن امامه سوى شيء واحد يفعله ، فجاء باحدى قبعات الوصيفة المذكورة ، فما كان لأحد أن يلاحظ هذا !

ثم وضع كيس الرمل بجانب الجثة ، وخرج بعد ذلك لاثبات تحركاته ووجوده بعيداً عن مكان الجريمة !

لقد اتصل بزوجته تليفونياً ، منتحلا اسم ليتلويث ، ولست أعرف ما قاله لها ؟

انها كانت انسانة سليمة النية تصدق كل ما يقال لها كما ذكرت لكم من قبل ، وقد طلب منها أن تنصرف من لعب الورق مبكراً وألا تعود الى الفندق !

واتفق معها أن تقابله في حديقة الفندق قرب سلم الحريق في الساعة السابعة ، ولعله اخبرها أنه جاء لها بمفاجأة تسرها ؟

ثم انه يعود الى الفندق مع صديقيه ويرتب ان يكون اكتشاف الجريمة بحضوري أنا ومسز تروالوب !

بل انه يتظاهر بأنه يريد تقليب الجثة في مكانها ، فأمنعه أنا من ذلك ؛ ثم يجري استدعاء البوليس ويخرج هو متصنعاً الحزن والتفجع .

ان أحداً لم يسأله اثبات تحركاته (بعد) الجريمة ..

وهكذا فهو يقابل زوجته ، ويصعد معها في سلم الحريق ؛ ويدخلان غرفتها ..

ولا يبعد انه اخبرها سلفاً عن وجود جثة في الغرفة منتحلا قصة ما ؛ وحين تنحني فوقها لكي تنظر ، يتناول كيس الرمل ويضربها الضربة القاتلة ، ثم يسرع بنزع (التايير) ويعلقه ، ويلبسه ملابس الجثة الأخرى ..

لكنه (وجد القبعة لا تنطبق) ، لأن شعر ماري مقصوص ، في حين أن شعر جلاديس غزير ومعقود فوق الرأس فيما يشبه الكرة !

وهكذا اضطر إلى ترك القبعة بجانب الجثة مؤملا الا يلاحظ أحد هذه المسألة ..

وبعد ذلك حمل جثة الوصيفة عائداً بها إلى غرفتها ، حيث ردها

إلى حيث كانت

وعندئذ قال دكتور لويد :

– هذا شيء لا يصدق ، إنه قام بمخاطرات كثيرة ، وكان يمكن أن يسبقه البوليس ويفاجئه !

فقالت ماربل :

– تذكرون ان خط التليفون كان معطوباً ، ولا شك أن العطب كان من تدبيره ..

إذ لم يكن يحتمل أن يدع البوليس يحضر سريعاً ، وحين وصل رجال البوليس ، أمضوا بعض الوقت في مكتب مدير الفندق قبـــل الصعود إلى غرفة النوم !

وكانت أضعف نقطة في الجريمة هي احتمال أن يلاحظ أحد الفرق بـين جثة توفيت منذ ساعتين وأخرى توفيت منذ نصف ساعـــة فقط ، ولكنه اعتمد على أن الذين يكتشفون الجريمة لأول مرة لن يكونوا من الخبراء بمثـل هذه المواقف !

فأومأ الدكتور لويد قائلاً :

– إن الجريمة يمكن أن يفترض انها ارتكبت حوالي السابعة إلا الربع أو قرب ذلك ..

أما الواقع فإنها ارتكبت في الساعة السابعة أو بعدها بدقائق ، وحين يقوم طبيب البوليس بفحص الجثة يكون ذلك حوالي الساعة السابعة والنصف وعند ذلك لا يمكن الجزم بشيء .

فقالت المس ماربل :

– كنت أنا التي يجب أن تعرف هذا ،فإنني تحسست يد الوصيفة المسكينة فكانت باردة كالثلج ، ومع ذلك فبعد فترة قصيره تكلم مفتش البوليس ، وكأن الجريمة لا بد أنها ارتكبت قبيل وصولنا ، فلم افطن وقتهـــا

إلى ذلك كله !

فقال سير هنري :

– أعتقد انك فطنت إلى الكثير يا مس ماربل ، إن هـــذه القضية حدثت قبل وجودي في الخدمة ، ولا أذكر اني سمعت عنها ، ما الذي حدث بعد ذلك ؟

فقالت بايجاز :

– إن ساندرز أعدم شنقاً ، وهو يستحق هذا جزاء وفاقاً ؛ والواقع اني لم أندم على دوري في تقديمه للعدالة والقصاص !

الفصل الحادي عشر

جريمة حب

كان سير هنري كليثرنج ينزل ضيفاً على صديقه الكولونيل بانـتري لمده أيام معدودة .

وذات صباح ، قصد إلى قاعة الطعام ليتناول إفطـاره ، وفيما هو يهم بدخولها ، رأى المسز بانتري تخرج بسرعة واضطراب حتى كادت تصطدم به ، ولكن الكولونيل بانتري نفسه كان جالساً الى المائدة فقال يحدث ضيفه :

– طاب صباحك يا كليثرنج ، يوم جميل كما يبدو ، تفضـل بالجلوس الى المائدة وتناول طعامك .

وشرع سير هنري في تناول افطاره .

وبعد برهة صمت قال بانتري :

– يبدو ان دوللي مضطربة لسبب ما ؟

– هذا ما تبينته !

– نعم .. لقد سمعت هذا الصباح خبراً أزعجها ، خبراً عن فتاة حسناء من فتيات القرية ، وهي روز إيموت ابنة ايموت صاحب حانة « البلوبور » .

- آه !

- إنها فتاة حسناء ، ولكنها جلبت على نفسها المتـاعب ، نفس القصة المعروفة ، وكنت أتناقش مع دوللي في هذا الموضوع ، ولكنها تأبى أن تكون منصفة ..

إنها في جانب الفتاة على طول الخط ، غير اني ارى ان مسؤولية الفتاة لا تقل عن مسؤولية الشاب الذي غرر بها . وان كنت في الواقع اميل إلى ذلك المهندس الشاب سانفورد ، انه أقرب إلى البساطة والهدوء منـه إلى شاب عابث او زير نساء ..

- أهـذا الشاب سانفورد هو الذي غرر بالفتاة ، واوقعها في المتاعب ؟

- هكذا يقال ، وأنا شخصياً لا اعرف الحقيقـــة ، وإنما الأمر كله تقولات وشائعات وتكهنات ، كما هو الحال دائمـاً في البلدان الصغيرة ، وانا لست مثل دوللي التي تقفز الى النتائج بلا مقدمات ثابتة ، والتي تنثر الاتهامات يميناً ويساراً ، والواجب ان يكون الانسان حريصاً شديد الحذر في هذه الحالات التي يجرى فيها التحقيق .

فسأل السير هنري :

- التحقيق ؟

فحملق بانترى في وجه هنرى وقال له :

- أوه . ألم أخبرك ؟ لقد أغرقت الفتاة نفسها ، وهذا هو الذي حول الحادث الى مأساة ، إن والد الفتاة شخص غليظ قاس ، ويبدو أنها آثرت الموت على مواجهته بالحقيقة !

- وأين أغرقت نفسها ؟

- في النهر ، بعد المصنع بنصف ميل ومجرى النهر هناك سريع التيار ، وتوجد قنطرة صغيره المشاة فقط .. ويقال انها قفزت من هذه القنطره الى النهر .

وبعد تناول الطعام ، شغل الكولونيل بقراءة صحيفته .

ومضى سير هنرى الى الحديقة حيث تراخى في مقعد مريح وغطى نصف وجهه بحافة قبعته ، واستغرق في تأملات هادئة عن مفارقات الحياه ، إلى أن جاءت الخادمة لتخبره بأن المس ماربل قد حضرت لمقابلته

فنهض بسرعة ، ومضى مع الخادمة إلى غرفة الاستقبال حيث وجدها تنتظره في هدوئها المعتاد .

وبعد أن تبادلا التحية في مودة وحرارة .

قالت المس ماربل :

– لقد جئت اليك يا سير هــــنري لأتحدث معك على انفراد في موضوع مؤلم . مأساة !

– أتعنين مأساه الصبية روز ايموت ؟

– أوه .. هل بلغتك الأخبار ؟ نعم . لقد جئت لهذا السبب ؟

وبعد تردد يسير ..

استطردت تقول :

– اني اخشى أن تسخر مني يا سير هنري عندما احدثك بالسبب الذى جئت اليك من اجله .

– أيمكن أن يسخر منك أحد يا مس ماربل ؟

– سير هنرى ؟ ان هذه الصبية روز ايموت لم تمت منتحره كما يقولون وانما ماتت مقتوله ، وأنا أعرف من قتلها ؟

وعقدت الدهشة لسان السير هنرى لحظة ..

ولما أفاق من دهشته ، قال :

– ان ما تقولينه يا مس ماربل أمر خطير جداً ..

فأومأت برأسها وقالت :

– نعم ، نعم .. أعرف وهذا ما حفزني للحضور اليك ؟

– ولكنني يا عزيزتي لست بالرجل الذى تلجأين اليه في أمر كهذا ، فأنا كما تعلمين قد اعتزلت الخدمة وأصبحت كأى شخص عادى ، فلماذا لا تذهبين الى مركز البوليس ؟

– اني لا أستطيع .

– لماذا ؟

– لأني .. لأني لم أحصل بعد على ما تسمونه المعلومات الأكيدة ؟

– أتعنين انك تعرفين الجاني عن طريق الاستنتاج فقط ؟

– يمكنك أن تقول هذا اذا شئت ، ولكنني متأكده من شخصية الجاني لأسباب خاصة ، ولو اني ذكرت هذه الأسباب لمفتش البوليس درويت ، أو المأمور ميليشيت ، لسخر كل منهما مني وهزأ بي ، وسيكون له العذر ؛ لأن الأمر لا يمكن أن يدرك ببساطة !

إن ما أرجوه منك أن تهتم بالموضوع ، وأن تشترك في التحريات بصفتك الشخصية ، ولا شك أن المفتش درويت والمأمور ميليشيت سيعتبران اهتمامك بهذا الأمر شرفاً كبيراً .

فسأل سير هنري :

– فما هي المعلومات التي ستزودينني بها لأبحث القضية على ضوئها ؟

– لقد خطر لي أن اكتب اسم الجاني الحقيقي في ورقة وأسلمها اليك ، فإذا ثبت من تحرياتك أن صاحب هذا الاسم لا علاقة له بالجريمة ، فسوف أعترف لك بأني أخطأت الظن والتقدير ..

ثم توقفت برهة ، قبل أن تردف قائلة وهي ترتعد قليلاً :

– ليس في الدنيا أفظع وأقسى من الحكم على انسان بريء بالاعدام شنقاً ..

ثم أخرجت من حقيبة يدها ورقة كتب عليها اسم وعنوان شخص ما ، وقدمتها للسير هنري الذي نظر اليها في شيء من الدهشة .

ثم قال وهو يضعها في جيبه :

– هذا أمر عجيب حقاً .. ولكنني سأحاول أن اكون عند حسن ظنك بي .

* * *

وقال سير هنري وهو جالس مع المفتش درويت في مكتب ميليشيت :

– الواقع إني أشعر بأني دخيل عليكم ، ولكني لا أستطيع الآن أن أصارحكم بالسبب الذي من أجله أرجو أن تشركوني في تحرياتكم عن هذا الحادث ..

فقال ميليشيت :

– الواقع يا سيدي أن الحادث في ذاته بسيط وواضح ، وكان الرأي في أول الأمر أن الفتاة أغرقت نفسها ، ولكن طبيب الصحة وهو رجل ذكي قوى الملاحظة ، لاحظ وجود كدمات على ذراعي الفتاة فوق المرفقين ، تدل على أن شخصاً ما أمسكها بقوة وقذف بها من فوق القنطرة إلى الماء !

– وهل كان الأمر يحتاج إلى قوة كبيرة لقذفها ؟

– لا أظن ، فلم يكن ثمة مجال المقاومة فالفتاة أخذت على غرة والقنطرة في ذاتها صغيرة ، مخصصة للمشاة ، ومن الخشب الزلق ولها جانب بدون سياج ، اى كان من السهل قذفها إلى الماء بلا مقاومة ؟

– هل أنت متأكد تماماً ان الحادث وقع في ذلك المكان ؟

– نعم .. لقد شهد بذلك غلام في الثانية عشر من عمره يدعى جيمي براون ، كان في المنطقة الغابات الواقعة على الجانب الآخر من النهر ، وقد سمع صيحة على القنطرة ، ثم صوت سقوط شيء في الماء ، وكان الوقت في عتمة ما

بعد الغروب ، والرؤية غير واضحة ، ولكنه استطاع ان يرى بعد ذلك جسماً أبيض يطفو على سطح الماء . فانطلق إلى القرية طالباً النجدة . ولكنها اقبلت بعد فوات الأوان !

– ألم ير الغلام أحداً على القنطرة ؟

– لا .. فقد كان الوقت بعد الغروب ، وكان ثمة ضباب خفيف في الجو ولكني سأسأله على كل حال هل رأى أحداً قبل أن يسمع الصيحة أو بعدها؟

وقال المفتش درويت .

– وعدا هذا فقد عثرنا على رسالة يا سير هنري . كانت في جيب الفتاة الغرقى ومكتوبة بقلم من النوع الذى يستعمله المهندسون ، ورغم ابتلال الورقة فقد استطعنا ان نقرأ الكلمات المكتوبة عليها بوضوح وهي :

« حسناً فيما دمت مصرة على أن تقابليني فليكن اللقاء عند القنطرة في السابعة والنصف مساء !

ر . س »

واستطرد المفتش يقول :

– إن كاتب هذه الرسالة هو روبرت سانفورد ، الشاب المتهم بالتغرير بالفتاة ، وكان الغلام جيمس قد سمع الصيحة بعد السابعة والنصف بلحظات

والتقط ميليشيت حبل الحديث فقال :

– هل رأيت هذا الشاب يا سير هنرى ؟ انه مهندس معمارى شاب له آراء عصرية في الهندسة المعمارية ، وقد أقبل من لنـــدن ليشيد قصراً لآل النجتون ، وأعتقـــد ان سكان القرية غير راضين عن آرائـــه العصرية ، بـــل وعن سلوكه العصرى أيضاً .

وقال المفتش درويت :

– أياً كان الموضوع ، فإن الحادث قد أصبح واضحـــاً كل الوضوح . فالشاب سانفورد غرر بالفتاة حتى حملت منه . وهو يريد الآن ان يعود إلى

لندن بسرعة لأن له فيها خطيبة حسناء عريقة الأصل . وبطبيعة الحـــال لم يرغب في أن يبلغ مسامع خطيبته ما حدث بينـه وبين روز ايوت ، فقرر ان يتخلص منها . فضرب لهـا الموعـد عند القنطرة في ساعـة يكون فيها الظلام مسدلاً . وهناك انتهز فرصة خلو المكان من الناس وقذف بها إلى النهر .

فقال السير هنري :

– اعتقد أنه ليس هناك ادنى شك في أن ذلك الشاب سانفورد هو والد الجنين الذي كان في بطن المسكينة روز ؟

فرد المفتش :

– لا شك في ذلك ، فإن روز أخبرت والدها بالحقيقة قبيل موتها وقالت له أنها أسلمت نفسها اليه حين ظنت أنه ينوي الزواج بها .

– الم يكن للفتاة حبيب من شبان القرية ؟

– اتعني جو إيلس ؟ انه شاب طيب يشتغل نجاراً . آه ؛ ليتها ظلت وفيـة له ؟

– وماذا كان وقع الخبر على جو إيليس هذا ؟

– لا أحد يعرف ؛ إنه شاب هادىء وادع متحفظ بسيط . وكان يحب روز ذلك الحب الذى يجعله يرى أن كل ما تفعله صواب ؛ ورغم علاقتها بسانفورد ، فقد كان يأمل أن تعود اليه في النهاية نادمة طالبة الصفح والغفران فهذا موقفه على ما أعتقد !

فقال سير هنرى :

– اني اود ان أراه ؟

فرد المفتش :

– لسوف نراه حتما ؛ فنحن لن نهمل أى جانب من جوانب هذه المأساة ؛ سوف نقابل إيوت ؛ والد الفتاة ؛ اولاً ؛ ثم جو إيليس .

وذهبوا إلى توم إيوت في حانته « البلوبور » .

وكان رجلاً كهلاً ضخم الجسم زائغ النظرات ، سوقي الطباع ، وقد قال حين رآهم :

– سعيد برؤيتكم أيها السادة ، كيف حالك يا كولونيل ؟ تفضلوا بالجلوس في هذه الغرفة لنكون على انفراد . هل تسمحون لي أن أقدم شيئاً من الشراب ؟ لا ! حسناً لقد جئتم لتتحدثوا معي بشأن مأساة ابنتي المسكينة ! لقد كانت فتاة طيبة ..

ولكن ذلك الخنزير غرر بها ، وخدعها بالحديث عن الزواج ، وجلب الفضيحة على بيتي لسوف أطالب برأسه ، فكما ماتت ابنتي يجب أن يموت على حبل المشنقة .

وهنا سأله المفتش درويت :

– هل صارحتك ابنتك بأن هذا الشاب هو الذي غرر بها ؟

– نعم ، وفي هذه الغرفة بالذات ، قالت لي أنه والد الجنين الذي كان في بطنها ؟

وسأله سير هنري قائلاً :

– وماذا قلت لها ؟

– قلت لها ؟

وتوقف الرجل برهة كأنما فوجىء بهذا السؤال .

وعندئذ قال ميليشيت :

– ألم تهددها بالطرد من بيتك مثلاً ؟

– لا لا .. لقد غضبت وحزنت ، وهذا أمر طبيعي ، وأين الوالد الذي لا يغضب أو يثور في حاله كهذه ، ولكنني لم أهددها بالطرد ، وإنما قررت أن الجأ إلى القانون لارغام ذلك الشاب على اصلاح غلطته ..

– متى رأيت ابنتك آخر مرة ؟

– أمس في موعد الشاي .
– وكيف كان حالها ؟
– كالمعتاد ، لم ألاحظ عليها شيئاً غير طبيعي .

واستأذن الثلاثة وانصرفوا

وفي الطريق قال المفتش درويت :

– إن توم إيوت واحد من سفلة الناس ، ولو ظلت ابنته على قيد الحياة لعرف كيف يبتز المال من سانفورد حتى يمتص دمه .

وكانت زيارتهم التالية ، لسانفورد ، وقد رآه سير هنري مختلف كثيراً عن الصورة التي تخيلها عنه ..

رآه شاباً طويلاً نحيلا ، ذهبي الشعر حالم النظرات ناعم الحديث .

وبعد أن قدم ميليشيت نفسه وزميليه اليـــه ، تحدث في الموضوع مباشرة فقال :

– أظنك تعرف أن الصبية روز إيوت قد أغرقت في الليلة الماضية ؟

– نعم ، نعم .. انه لأمر محزن ، إني لم أنم لحظة واحدة منذ ذلك الحين بل لم أستطع أن أشتغل اليوم ، فأنا أشعر اني مسئول ا مسئول .

ثم تخلل بأصابعه شعر رأسه ..

واستطرد يقول بصوت حزين :

– لم أكن أقصد الاساءة اليها أبداً ، فلم يخطر ببالي لحظة أنها ستفعل بنفسها هذا !

وأخفى وجهه بين يديه فجأة .

وعندئذ سأل المفتش درويت :

– ماذا كنت تفعل ليلة أمس في الساعة ٧ ونصف ؟
– كنت أتمشى في تلك الساعة ..
– ألم تذهب للقاء روز ؟

– لا . لقد كنت أتمشى بعيداً عن القنطرة ، في الجـانب الآخر ، في منطقة الغابات .

– إذن ما قولك في هذه الرسالة التي وجدناها في جيب الصبية الغرقى ؟

وبعد أن قرأها بصوت مسموع ..

أردف المفتش يقول :

– هل تنكر إنها مكتوبة بخط يدك ؟

– لا . لا أنكر ! لقد كتبتها فعلا ، كانت روز قد أصرت على أن أقابلها ، فلم أدر ماذا أفعل ، فكتبت لها هذه الرساله ، ولكني لم أذهب في الموعد ، رأيت أن خير ما أفعله هو أن أتخلف عن الذهاب ، فقد كنت مزمعاً للرحيل إلى لندن غداً ، وقررت أن اكتب اليها من لنـدن وأن أقوم ببعض الترتيبات من أجلها !

- هل تعرف يا مستر سانفورد أن الصبية كانت حاملا ، وإنها قالت إنك والد الجنين ؟

فتأوه سانفورد ولم يجب ..

فعاد المفتش يقول :

- هل كانت صادقة فيما قالت ؟

فزاد سانفورد من إخفاء وجهه بين يديه وهو يقول بصوت مختنق :

– أعتقد هذا ..

– حسناً .. هل رآك أحد وأنت تتمشى في الغابة ليلة أمس ؟

– لا أدري ، ولا أظن ، فأنا بقدر ما أذكر لم التق بأحد .

– هذا أمر يؤسف له ..

وهنا قال الشاب في حدة وعنف :

– ماذا تعني ؟ فما علاقة هذا كله بصبية أغرقت نفسها ؟

– إن الصبية لم تغرق نفسها يا مستر سانفورد .. وإنما أغرقها شخص

ما عمداً ..

وارتسمت الدهشة بوضوح على وجهه ..

ثم غمغم بعد برهة صمت :

- يا إلهي ! إذن ..

ونهض الثلاثة لينصرفوا ..

وقال ميليشيت .

- عليك ألا تترك هذا المنزل بأي حال من الأحوال يا مستر سانفورد حتى تصدر اليك أوامر اخرى !

وفي الخارج تبادل المفتش والمأمور النظرات .

ثم قال المأمور :

- الأمر واضح ، عليك أن تستصدر يا درويت أمراً من النيابة بالقبض عليه !

وهنا قال سير هنري :

- معذرة ، لقد نسيت قفازي ، سوف الحق بكما في الطريق .

وأسرع عائداً إلى الشاب الذي ظل في مكانه ينظر أمامه دون أن يرى شيئاً .

وقال له سير هنري ·

- لقد عدت لأقول لك بصفة شخصية ، أني سأبذل جهدي لمعاونتك ولا أستطيع الآن أن اكشف عن السبب في هذه المعاونة ، ولكني أحب أن تصارحني في إيجاز بكل ما حدث بينك وبين الصبية !

- كانت جميلة . جميلة جداً وجذابة ومغرية ، ولعوباً إلى اقصى حد ، ويبدو أنها وضعت عينها علي وقررت ان توقعني في شباكها ، وأشهد الله ان هذا ما حدث ، إنها لم تدخر وسعاً في مطاردتي واستدراجي .

ولما كنت اعيش هنا في شبه عزلة ، فقد استجبت لرغباتها . فحدث ما

حدث ، وعندئذ طلبت مني أن أتزوجها ، وادركت أنها رسمت خطتهـا على هذا الأساس ، فلم أدر ماذا أفعل .

فقد كنت خاطباً لصبية من لندن ؛ ولو انها علمت بالأمر لفسخت الخطبة فوراً . ومن ثم قررت ان أتجنب روز ؛ وأن امضي إلى لندن لأرتب الأمر مع محامي حتى أسوي الموضوع مع والدها بطريقة ودية على ان ادفع له ولها مبلغاً مغيناً كل شهر . آه ! ما اشد غبائي ، لقد كانت الخدعة واضحة فكيف عجزت عن ادراكها ؟

– الم تهددك الفتاة بقتل نفسها ؟

– أبداً ؛ انها لم تكن من النوع الذي يقتل نفسه لسبب كهذا ؟

– فما تعرف عن الشاب المدعو جو إيليس ؟

– النجار ؟ انه شاب قروي طيب القلب ، محدود الذكاء كان يحب روز بجنون !

– لعل الغيرة كانت تعذبه ؟

– لا شك أنه كان يشعر بالغيرة ، ولكني أعتقـد أنه من الطراز الذي يتألم في صمت !

– حسناً . يجب أن انصرف الآن ؟

ولحق سير هنري بصاحبيه وقصد ثلاثتهم إلى بيت جو ايليس ..

وكان البيت الصغير نظيفاً مرتباً، وكانت المرأة التي فتحت لهم الباب ممتلئة الجسم ، في منتصف العمر ، بشوشة الوجه ، زرقاء العينين .

وقال لها المفتش .

– طاب صباحك يا مسز بارتليت . هل جو إيليس هنا ؟

– لقد عاد منذ عشر دقائق ، تفضلوا بالدخول !

ثم صاحت :

– جو ! هلم أسرع ، إن بعض السادة يريدون مقابلتك .

فرد عليها جو من المطبخ قائلا :
– اسوف آتي حالاً بعد ان افرغ من غسل رأمي ويدي .
وراح ميليشيت يحدث المرأة :
– أترين أن جو ايليس شخص وديع يا مسز بارتليت ؟
– لا يمكن ان اجد شخصاً احسن منه يا سيدي ، إنه شاب رزين متزن لا يشرب الخمر ولا يهمل عمله لحظة .
ولسوف تسعد به إحدى الفتيات يوماً ! اعتقد انه كان يحب تلك الصبية المسكينة روز إيموت ، اليس كذلك ؟
وتنهدت مسز بارتليت ثم اكملت :
– لقد أسأمني حبه هذا ، نعم .. كان يحب الأرض التي تسير عليها بينما لم تكن هي تهتم بة مقدار خردلة .
– اين يقضي جو أمسياته يا مسز بارتليت ؟
– هنا عادة يا سيدي ، إنه يدرس بالمراسلة برنامجاً لمسك الدفاتر .
- وهل كان ليلة أمس ؟
– آه .. طبعاً يا سيدي .
وعندئذ سأل السير هنري في حدة :
– هل أنت واثقة من ذلك يا مسز بارتليت ؟
– كل الثقة يا سيدي .
– ألم يخرج مثلا فيما بين السابعة والسابعة والنصف ؟
– لا .. لقد كان يصلح خزانة المطبخ ويضع لها رفاً جديداً ، وقد استغرق ذلك العمل منه المساء كله وكنت أساعده ؟
ونظر سير هنري إلى وجهها الباسم الواثق ، ثم شعر بأولي لواذع الشك
وبعد لحظات أقبل جو إيليس إلى الغرفة ، فإذا هو شاب طويل ، عريض الكتفين ، كبير الرأس وسيم الوجه ، خجول النظرات .

وانسحبت مسز بارتليت إلى المطبخ .
وبدأ ميليشيت الحديث مع جو قائلا :

– إننا نحقق في حادث موت الفتاة روز ايموت يا جو ، إنك تعرفها طبعـــاً ؟

فقال الشاب بصوت المتردد :

– نعم ، وكنت أرجو أن أتزوجها ؟

– وقد سمعت عن الظروف التي أحاطت بها قبل موتها ؟

– نعم .. لقد خذلها الشاب وحسناً فعل ، لأنها لو تزوجته لعاشت معـه طيلة حياتها بائسة شقية ، وكنت أتوقع انها ستعود إليّ بعد أن يخذلها .

– رغم انها ؟

– إني التمس لها العذر ، فقد أغراها بالوعود . نعم انهـا أخبرتني بكل شيء ، ولم يكن هناك ما يدعوها لأن تغرق نفسها ، فما كان الأمر يستحق هذه التضحية .

– اين كنت يا جو ليلة أمس في نحو الساعة ٧ ونصف ؟

وخيل الى سير هنري اجاب بسرعة تثير الشك في أنه كان يتوقع هذا السؤال فاستعد له بهذه الاجابة :

– كنت هنا أصلح خزانة المطبخ واصنع لها رفاً جديداً ، ويمكنك أن تسأل مسز بارتليت ، إنها تشهد بذلك .

وبعد أسئلة اخرى قليلة انصرف الرجال الثلاث .

ولكن سير هنري استأذن قبل الانصراف في الذهاب الى المطبخ ، وهناك رأى المسز بارتليت مشغولة باشعال الموقد

فلما رأته ، رفعت اليه وجهها البشوش .

فقال حين رأى خزانة المطبخ وقد بدا فيها رف جديد ، وبعض أدوات النجارة لا تزال موضوعة بالقرب منها :

– أهذه خزانة المطبخ كان يصلحها جو ؟
– نعم وقد أحسن اصلاحها انه نجار بارع .

ولم يلاحظ سير هنري على وجه المرأة شيئاً من إمـــارات الخوف او الاضطراب وفيما هو يستدير لينصرف اصطدم بعربة اطفال .

فقال لها :

– أرجو الا اكون قد أيقظت الطفل ؟

فضحكت مسز بارتليت وقالت :

– اوه .. لا يا سيدي ليس لدى للأسف أطفال اني أوزع الملابس المغسولة المكوية على الزبائن بواسطة هذه العربة ؟

– آه فهمت ..

ثم أردف قائلا بعد لحظة صمت :

– مسز بارتليت انك تعرفين طبعاً روز ايموت فما رأيك بها ؟

فنظرت اليه في فضول ثم قالت

– كانت سيئة السلوك جداً ، وانا لا استطيع ان اقول هذا امـام جو ، فقد كانت تسيطر عليه بجاذبيتها حتى جعلته لا يرى أحداً غيرها ، وان جو للأسف من النوع الذى إذا أحب اخلص في حبه تماماً ؟

ولما انصرف الثلاثة من البيت الصغير ، قال ميليشيت :

– اعتقد ان الأمر قد ازداد وضوحاً الآن ؟

فقال المفتش :

– نعم ، ان سانفورد هو رجلنا المنشود ؛ إن الدلائل كلها متوافرة على ادانته اعتقد ان الصبية بمساعدة ابيها قد بدأت تبتز المال منه ؛ ولما خشي من الفضيحة لأن ليس لديه من المال ما يكفي لكتمان الأمر استبد به اليأس ، وقرر التخلص منها ؛ إن هذا امر واضح جداً ؛ اليس كذلك يا سير هنرى ؟

– هذا ما يلوح ولكني لا استطيع ان اتصور سانفورد قاتلا ؟

ثم اردف قائلا فجأة :

– احب ان ارى ذلك الغلام ، الغلام الذى سمع الصيحة عند القنطرة ؟

ولما ذهبوا الى جيمي براون وجده سير هنري غلاماً فطنـاً ، واضحاً في اجاباتـه . .

وسأله سير هنرى قائلا :

– فهمت انك كنت تسير على الجانب الآخر من النهر ، فهل رأيت احداً يسير على ذلك الجانب وأنت تعبر القنطرة ؟

– كان هناك شخص يسير في الغابة واظن انه ذلك المهندس سانفورد .

وتبادل الرجال الثلاثة النظرات .

وقال سير هنرى :

– متى كان هـذا ؟ قبل ان تسمع الصيحة أم بعدها ؟

– قبل أن اسمعها بنحو ، بنحو عشر دقائق .

– وهل رأيت احداً آخر في الجانب الآخر من النهر ، اعني الجانب الذى تقع عليه القرية ، لا الغابات ؟

– رأيت رجلا يسير ببطء من بعيد ويصفر بشفتيه واعتقد انه جو ايليس

– كيف عرفت ذلك في ظلام ما بعد الغروب ؟

– عرفته من صفيره ، فإن جو ايليس يصفر دائماً لحناً معيناً هو لحن « أريد ان اعيش سعيداً » انه اللحن الوحيد الذى يعرفه

وسأله سير هنرى قائلا :

– فهل كان في طريقه الى القنطرة ؟

– لا . . بل كان متجهاً نحو القرية ؟

وسأله ميليشيت :

– قلت انك سمعت صيحة عند القنطرة ، ثم صوت سقوط جسم في الماء وبعد لحظات رأيت شيئاً ابيض يطفو على سطحه . فارتددت راجعاً بسرعـة

وعبرت القنطرة إلى القرية لتأتي بالنجدة ألم تر احـــداً بالقرب من القنطرة وانت منطلق في طريقك إلى القرية ؟

– رأيت من بعيد رجلين معهما عربة يد ؛ ولكنني لم أدر هل كانا ذاهبين إلى القرية أم خارجين منها ولما كان منزل مستر جايلز اقرب الي منهما فأسرعت اليه بدلاً من الاسراع اليهما في طلب النجدة ؟

– لقد أحسنت يا ولدي . أحسنت التصرف بذكاء انك عضو في فرقـة الكشافة . اليس كذلك ؟

– نعم يا سيدي .

وبعد انصرافهم ، افترق سير هنري عن صاحبيه .

وذهب إلى المس ماربل وقال لها :

– جئت لأقدم اليك تقريراً عن تحرياتنا ، وأخشى ان أقول إن هـــذه التحريات لا تتفق مع وجهة نظرك في هذا الحادث ، وقد تركت ميليشيت يستعد لاستصدار أمر بالقبض على سانفورد ، وهو يعتقد تمـــاماً أنه على صواب ؟

ولما حدثها بتفاصيل تحرياته قالت المس ماربل حين اكد لها أن جو ايليس أمضى المساء كله في البيت مع المسز بارتليت .

– ولكن هذا لا يمكن ابداً ، فإن مساء أمس كان مساء يوم الجمعة .

– مساء يوم الجمعة ؟

– نعم ، فهو المساء الذي توزع فيـــه مسز بارتليت الملابس المغسوله والمكوية على زبائنها ، وهذه حقيقة يعرفها الجميع .

وتراخى سير هنري في مقعده وقد تذكر حديث الغلام جيمي عن الشاب الذي سمعه يصفر ذلك اللحن .

وفجأة قال لمس ماربل :

– اعتقد اني عرفت الآن كل شيء ؟

وبعد خمس دقائق جالساً في مواجهة جو إيليس بردهة البيت الصغير يقول له بحزم :
- لقد كذبت علي يا جو إيليس ، إنك لم تكن في المطبخ تصلح الخزانة مساء أمس في السابعة والنصف ، وإنما كنت تسير على ضفة النهر نحو القنطرة قبل مقتل روز بدقائق معدودة ..

ففغر جو فمه في هلع وقال :
- ولكنها لم تقتل ، لقد أغرقت نفسها ، ولست انا بالذي يلمس شعرة من رأسها بسوء ، نعم .. لست أنا .
- إذن فلماذا كذبت علينا ؟

فأغضى الشاب بعينيه في اضطراب وقال :
- كنت خائفاً ، وقد رأتني المسز بارتليت هناك ، بالقرب من القنطرة ، ولما عرفنا بما حدث فيما بعد ، قالت لي انني قد اتهم بقتل روز إذا عرف احد اني كنت بالقرب من القنطرة في ذلك الوقت .

ولهذا اتفقت معي على أن ازعم اني امضيت المساء كله في المطبخ اصلح الخزانة ، واكدت لي أنها ستؤيدني في هذا الزعم ، إنها سيدة طيبة ، وكانت كريمة معي دائماً .
ونهض سير هنري دون ان يقول شيئاً
ثم مضى إلى المطبخ حيث كانت مسز بارتليت تغسل بعض الملابس في الحوض ، وبلا مقدمات قال لها :

- مسز بارتليت .. لقد عرفت كل شيء ، ويحسن بك ان تعترفي بالحقيقة وإلا فسوف ترسلين جو إيليس إلى المشنقة ظلماً ؟
آه . أرى في عينيك أنك لا تقبلين ذلك ، حسناً ، فسوف اخبرك بما حدث ، فقد خرجت مساء امس توزعين الملابس المغسوله على الزبائن وفي اثناء عودتك التقيت بروز ايموت على القنطرة ، وتذكرت عندئذ ان جو مستعد لأن

يصفح عنها ويتزوجها إذا عادت اليه .

وقد عاش جو معك أربعة اعوام ، والواضح انك غرقت في حبه إلى اذنيك وكنت ترين أنها غير جديرة بالزواج من شاب تعتبرينه المثل الأعلى بين شباب القرية ؟

فلم تستطيعي ان تحتملي التفكير في أنها سوف تنتزعه منك رغم كل ما حدث منها ، وانت امرأة قوية يا مسز بارتليت ، فأمسكت بالفتاة على حين غرة ، والقيت بها إلى النهر ، وبعد ذلك بلحظات التقيت بجو ابليس في طريقه إلى القنطرة .

لقد رآكما الغلام جيمي براون من بعيد ، فحسبكما رجلين ، لأنه ظن عربة الأطفال التي توزعين فيها الملابس المغسوله ، عربة يد . وأوهمت جو انه قد يكون موضع الاتهام بقتل روز ، واقنعته أن يزعم انـه كان معك في البيت طيلة المساء وفي الواقع كنت تريدين ان تثبتي في الوقت نفسه وجودك ايضاً في البيت .

ولما سكت سير هنري .

مسحت المرأة يديها في مئزرها بهدوء ثم قالت :

– هذا ما حصل تماماً ، ولا ادرى ماذا دهاني حين رأيتهـا واقفة على القنطرة ، فظننت انها في انتظار جو ، وكدت اجن حين تخيلت انها ستعود اليه وتتزوجه ، نعم لقد أحببت جو بكل قطرة من دمي ، اني لست امرأة عجوزاً ، اني لم ابلغ الأربعين مع رجـل سكير حتى خلصني الموت منه ولما عرفت جو ، أدركت ان الأقدار تبتسم لي اخيراً ، وعشت على امل الزواج منه .

ولولا هذه الفتاة لتزوجته فعلا ، فهل ثمة لوم علي إذا أنا فقدت صوابي حين التقيت بها على القنطرة ؟ وحين قررت ان انتهز الفرصة السانحة والتخلص منها؟ وايا كان الأمر ، فإني في الواقع لا ادرى .. لا ادرى كيف عرفت هـذه

الحقيقة أيها السيد ؟ فهل انت من المشتغلين بالسحر ؟

فهز سير هنري رأسه ببطء وقال :

– الواقع اني لست انا الذى عرف هذه الحقيقة ..

ثم فكر في الورقة المكتوبة والموجودة في جيبه ..

ومكتوب فيها ·

« مسز بارتليت» الذى يسكن معها جو ايليس بالمنزل رقم ٢ شارع ميل»

ومرة اخرى كانت المس ماربل على صواب .

– تمت –